ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
4.11.2014

@ketab_n
Follow Me

شجرة الكرز المقدّسة

حكايات شعبية من اليابان

جمع: ريتشارد غوردون سميث
ترجمة: دنيا فرحات

شجرة الكرز المقدّسة

حكايات شعبية من اليابان

@ketab_n

جمع:
ريتشارد غوردون سميث

ترجمة:
دنيا فرحات

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

شجرة الكرز المقدّسة

حكايات شعبية من اليابان

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

شجرة الكرز المقدسة: حكايات شعبية من اليابان

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.1.G658.Anci12 2009
Gordon Smith, Richard, 1858 - 1918.
[Ancient Tales and Folklore of Japan]
شجرة الكرز المقدسة: حكايات شعبية من اليابان/ جمع مونو يوكي، ريتشارد غوردون سميث؛
ترجمة دنيا فرحات. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
160ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-355-6
ترجمة كتاب: Ancient Tales and Folklore of Japan
1 - القصص الشعبية اليابانية. 2 - الحكايات اليابانية. أ- MO-NO-YUKI.
ب- فرحات، دنيا. جـ- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التنان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
الجزيرة المهجورة	11
جزيرة شيكوبو، بحيرة بيوا	18
التقمّص	25
غطّاسة خليج أويزو	30
سرقة تمثال الإلهة كوانون الذهبي واسترداده	39
صخرة ساغيو هوشي	46
ماساكوني يستعيد نظره	55
خليج ساغامي	61
ملك توريجيما	68
إكسير الحياة	80
كهف الناسك	87
كاميلية يوسوجي	94
الحيتان	103
الحوت والصياد	109
شجرة الكرز المقدّسة	110
حكاية جبل كانزانراي	118
جبل العظمة البيضاء	127
مأساة ليلة عاصفة	137
لوحة شبح مقاطعة آكي	148

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

جميع القصص الواردة في هذا الكتاب منقولة عن مذكرات كبيرة مصوّرة دوّنتها خلال السنوات العشرين التي أمضيتها مرتحلاً في بلدان عدّة، وقد أمضيت السنوات التسع الأخيرة بأكملها تقريبًا في اليابان، أجمع أشياء ذات طابع تاريخي طبيعي للمتحف البريطاني، وأصطاد في البحر الداخلي؛ كنت أنجح أحيانًا وأفشل أحيانًا أخرى لكنني في النهاية قدّمت زهاء خمسين عنصراً جديداً لخزينة العلم، وبحسب السير إدوين راي لانكستر أضفت الكثير إلى معرفة علم الأعراق اليابانية.

من الواضح أن حياتي فرضت عليّ اتصالاً قريبًا مع الناس: الصياد والمزارع والكاهن والطبيب، والأولاد وكل من يُحتمَل أن يكون مصدرًا للمعلومات. كثيرةٌ وغريبةٌ كانت الحكايات التي سمعتها. فضّل الناشرون أن يكون في هذا الكتاب مزيجٌ من القصص عن الجبال والأشجار والأزهار والمواقع التاريخية والأساطير. وفي ما يخصّ ما جمعته في مذكراتي، لا يسعني

Twitter: @ketab_n

سوى أن أشكر الوزير السابق في طوكيو، السير إرنست ساتو، ووزيري الخارجية والزراعة ونائبيهما الذين زودوني بالكثير من رسائل التوصية، وصديقي العزيز السيد هاتوري، حاكم مقاطعة هيوغو، ومترجمي المذكرات والمخطوطات الأصلية (والتي كانت في غالبيتها مكتوبة باليابانية) وأذكر من بينهم السيد أندو، والسيد ماتسوزاكي، والسيد واتانابي. أتوجه أيضًا بالشكر إلى المترجم الفوري المخلص يوكي إيغاوا على جهوده المتواصلة لإيجاد ما أبحث عنه، وإلى الكثير من القرويين اليابانيين والصيادين الذين أحببتهم بسبب طبيعتهم الطيبة ولطفهم وحسن ضيافتهم. وفي الواقع، لا يحكم الشعبَ الفاضل سوى ملك فاضل.

ر. غوردون سميث

يونيو 1908

Twitter: @ketab_n

الجزيرة المهجورة

قبل سنوات عدّة، أمر سيد كيشو وهو على رأس إحدى عائلات توكوغاوا الثلاث، شعبه بأن يقيموا رحلة صيد في توماغاشيما (جزيرة توما). وغالباً ما كانت تُقام رحلات الصيد هذه في تلك الأيام بهدف التدريب والتنظيم أكثر منه بهدف الرياضة. فالصيد يحشد الناس ويدرب على القوّة في البحر كما على اليابسة، كما أنه يجعل الناس يدركون صفات قادتهم، ويكشف عن معدن الرجال. وكانت رحلات الصيد تُعتبَرُ مناورات عسكرية.

في رحلة الصيد هذه أو المناورة، أراد سيد كيشو أن يغرق سكان جزيرة توما، فلا يعود له أي منافس.

زُوِّدَت السفن والزوارق بالسلاح كأنها تستعدّ للحرب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرجال إلا أنهم ما كانوا يرتدون الدروع.

Twitter: @ketab_n

حلّ اليوم المنتظر، ومخرت ستون سفينة عباب البحر لتُنزِل ما يقارب الثمانمئة رجل على جزيرة توما ليقضوا نهارهم في صيد الخنازير البرية والأيائل.

عند اقتراب العصرية، هبّت عاصفةٌ شديدة أدّت إلى توقّف الرياضة. فصدر أمرٌ بعودة الرجال إلى الساحل وركوب السفن قبل أن تتحطّم على الشاطئ.

ركب الرجال السفينة عائدين إلى ديارهم، وقد اقتلعت الرياح الأشجار من جذورها، وطارت الرمال أعاصير في الهواء، وإن كانت العاصفة شديدة على الشاطئ فما بالك في عرض البحر؟ تحطّمت مراكب اللورد كيشو وأصبحت أشبه بأوراق الأشجار العائمة على وجه الماء.

وكان أحد الرجال في تلك الرحلة وهو ماكينو هايني غايةً في الشجاعة، وكان يُلقَّبُ بإينو شيشي (الخنزير البري) لشدّة شجاعته. لم تقوَ السفن والمراكب على التقدّم في وجه العاصفة، فما كان من ماكينو هايني إلا أن فصل القارب الصغير عن السفينة، وقفز داخله وحيداً، أمسك بالمجذافين يضحك من الجميع ويقول لهم: «أرأيتم؟ أنتم تخشون التقدّم، راقبوني وافعلوا ما أفعله، فأنا لا أخشى الأمواج

Twitter: @ketab_n

العاتية وأنتم بدوركم لا تخشوها إن كنتم ترغبون في خدمة لورد كيشو بإخلاص».

أسرع ماكينو هايني يمخر عباب البحر بقاربه، وبعد جهد جهيد تمكّن من الابتعاد زهاء ثلاثمئة ياردة عن السفينة. غير أن العاصفة اشتدّت ولم يعد باليد حيلة. خشي ماكينو هايني أن تطيّره العاصفة فكان أمام خيارين، إمّا التمسّك بصاري المركب وإما تسليم أمره للقدر. كان قلب الخنزير البري في ذلك الوقت يخفق رعباً، وكانت الرياح تتلاعب بالقارب فيتخبّط بالأمواج. أغمض الخنزير البري عينية وسلّم نفسه للقدر. لكن العاصفة لم تقف عند هذا الحدّ، فاشتدّت وقذفت بالقارب خارج الماء على مرأى من السفن الأخرى الراسية ثم اختفى القارب في الأفق. تمسّك هايني بالقارب جيداً، وعندما انقطع الصاري عن القارب، بقي متمسّكاً بالدعامة. ما ترك صلاةً إلا وصلاّها، وبعد ثماني ساعات، وجد القارب يطوف في مياه هادئة نسبياً. كانت المياه تغمر القارب، وقد أصبح حطاماً، لكنه ظلّ عائماً وكان هذا جلّ ما يهمّ هايني في ذلك الوقت. عادت الحياة إليه عندما رأى النجوم بين غيمتين سوداوين، بالرغم من الظلام الحالك والمطر الذي لم يتوقف لحظة عن الهطول. كان هايني يتساءل حول مدى

Twitter: @ketab_n

بعده عن الشاطئ أو عن أصدقائه، عندما اصطدم قاربه فجأةً بصخرة. كانت الصدمة قويةً، فالعاصفة كانت لا تزال تقذف القارب. فقد بطلنا توازنه وقذفت به العاصفة على بعد عشرة أقدام. ارتطم بمكان ناعم فظنّ نفسه في البحر، لكن سرعان ما أدركت يداه أنه كان على الرمل الرطب الناعم. سُرَّ هايني أيما سرور، ونظر إلى السماء والغيوم، ووجد أن ساعات قليلة تفصله عن النهار، فقضاها يشكر الآلهة على إنقاذه ويصلّي من أجل أصدقائه وسيده.

بزغ الفجر، واستيقظ هايني شاعراً بالعطش والجوع والتعب. وقبل أن تطلع الشمس أدرك أنه على جزيرة لا تلوح منها أي يابسة أخرى، وقد أربكه ذلك إذ أنه تسهل رؤية البرّ الرئيسي من على جزر كيشو كلّها.

قال هايني: «هذه شجرة غريبة لم أرَ مثيلاً لها في كيشو، وتلك الزهرة ما لمحت عيناي مثلها قطّ بها، وتلك الفراشة أكثر لمعاناً من أي فراشة أبصرتها في حياتي».

راح هايني ينظر حوله ويتعجّب مما يرى، وأخذ يبحث عن طعام، وكونه يابانياً، فقد كان من السهل أن يشبع جوعه بالمحار الذي بعثرته العاصفة في كل مكان.

Twitter: @ketab_n

كانت الجزيرة التي علق عليها هايني كبيرة يناهز عرضها الميلين ومحيطها العشرة أميال، وتبرز في وسطها تلّةٌ صغيرةٌ، اعتلاها هايني ليرى إذا ما كان باستطاعته رؤية كيشو من فوقها، لكن الأشجار الكثيفة حجبت رؤيته، مما اضطرّه إلى التوجّه إلى الجانب الآخر من الجزيرة. رأى أشجاراً لم يسبق له أن رأى لها مثيلاً، وكانت أشجار النخيل أنواعاً أنواع. وقد سُرَّ كثيراً برؤية طريق نحو الجبل، فسلكها لكنه وصل إلى مكان رطب، وتملّكه الشكّ إذا ما كانت آثار الأقدام على الأرض تعود لعملاق، إذ أن طولها تجاوز الثمانية عشر إنشاً. فكّر هايني في نفسه أنه ما كان محارب من كيشو ليخشى شيئاً، فتسلّح بعصاً متينة وأكمل طريقه. وقبل أن يصل إلى رأس الجبل، صادفه مدخلٌ إلى ما يشبه كهفاً كبيراً. دخل الكهف لا يردعه رادعٌ، إلا أنه كان مستعداً لأي مفاجأة. ويا لدهشته عندما رأى أمامه عملاقٌ تجاوز طوله الثمانية أقدام، على بعد عشرة أقدام من المدخل! كان ذلك العملاق أشبه بمخلوق برّي، قبيح، بشرته مائلة إلى السواد، وشعره طويل أشعث، وعيناه تستعران غضباً، وفمه يمتدّ من الأذن إلى الأذن كاشفاً عن صفَّيْ أسنان لمّاعة، وما كان يغطّي جسمه سوى جلد هر بري يلفّه حول خاصرته.

Twitter: @ketab_n

رأى العملاق هايني فتسمّر في مكانه وقال له: «من أنت؟ كيف وصلت إلى هنا؟ وماذا تريد؟».

أجاب ماكينو هايني قائلاً: «أنا خادم سيد كيشو، وقد قذفت بي العاصفة إلى هذه الجزيرة بعد أن كنّا في رحلة صيد ومناورة في جزيرة توما».

فقال العملاق: «وأين تقع كل هذه الأماكن التي تتكلّم عنها؟ هذه الجزيرة بعيدة عن العالم منذ آلاف السنين. فأنا وحدي أسكنها وآمل ألا يشاركني بها أحد. لا يهمّني كيف أتيت. اسمي تومارو وكان والدي ياماغوشي شون وقد توفي مع سيده تويوتومي هيديتسوغو في جبل كوياسان في العام 1563. قضى كل منهما على يد الآخر، وقد أتيت إلى هنا، من دون أن أدري كيف، وأنوي أن أبقى هنا وحدي لا يعكّر أحدٌ مزاجي. سمعت عن سيد كيشو وعائلة توكوغاوا قبل أن أغادر اليابان، ولذلك سأساعدك وأعطيك قاربي القديم الذي أوصلني إلى هذه الجزيرة. تعال معي إلى الشاطئ، وسأرشدك إلى الدرب الصحيح، وإن أبحرت نحو الشمال الغربي ستبلغ كيشو. لكن الطريق إليها طويل جداً».

توجّه هايني وتامارو إلى الشاطئ.

Twitter: @ketab_n

قال تومارو: «اهترأ هذا القارب فقد أكل الدهر عليه وشرب، لكن قد يحالفك الحظ وتبلغ كيشو. يجب أن تأخذ معك بعض الطعام، سأعطيك بعض الأسماك والفاكهة، وسأعطيك أيضاً هدية لسيد كيشو. إنه نوع من الطحالب البحرية، يجب أن تأخذ بعضاً منها لنفسك. هذا أهمّ اكتشاف لي على هذا الجزيرة. فمهما كان الجرح بليغاً، فهذه الطحالب ستوقف النزيف وتشفيك على الفور. والآن اركب القارب وانطلق. فانا أحبّ أن أبقى وحيداً. بإمكانك إخبار الناس عن مغامرتك لكن إياك وذكر اسمي. الوداع!».

نفّذ هايني ما طُلِبَ منه، فركب القارب وانطلق يبحر ليلاً نهاراً تساعده التيارات. وبعد مرور ثلاثة أيام على مغادرته الجزيرة، وصل إلى شاطئ كيشو. فدُهِشَ الجميع لرؤيته على قيد الحياة، وتملّك سيد كيشو السرور، لا سيما بالطحالب الشافية للجروح، وقد زرعها في البحر على جزء من الساحل أسماه ناغوزا غوري (مقاطعة الطحالب البحرية الشهيرة).

وفي وقت لاحق، أبحر ماكينو هايني إلى الجزيرة بإذن من سيده ليجمع الطحالب. بقيت الجزيرة لكن العملاق اختفى.

Twitter: @ketab_n

جزيرة شيكوبو، بحيرة بيوا

منذ سنوات عدّة، عندما كنتُ صغيراً، شاعت أغنيةٌ عن رجل صيني:

في الصين عاش رجلٌ،

كان اسمه دينغ دونغ دانغ،

كانت ساقاه طويلتين، ورجلاه صغيرتين

وما كان على السير يقدر.

الكورس:

شيشي مارجي، شيشي مارا، دينغ دونغ، دينغ دونغ، دينغ دونغ دا، كوسي كوسي كي، كوسي كوسي كا، شيكوبو، شيكوبو، شيكوبو شانغ.

وكنت أفكّر أحياناً أنه عليّ المرور في جزيرة، أو أي مكان آخر يحمل اسم هذا الكورس الغريب أو جزءاً منه شيكوبو،

Twitter: @ketab_n

شيكوبو، شيكوبو شانغ. إن هذا الاسم لغريب حقاً، وقد وجدتُ جزيرةً على بحيرة بيوا يُكتَبُ اسمها ويُلفَظ كما اسم المكان في هذه الأغنية. شيكوبو موجودة لكن ما يحيّرني هو أين وجدها المؤلّف. فمع لغتي اليابانية ما تمكّنت من العثور عليها. في كل الأحوال، إليكم القصّة. ليست القصّة هذه بجيّدة، لكن بما أنها تتعلّق بالجزيرة الوحيدة المهمّة على البحيرة، فهي تستحقّ أن يُكتبَ عنها.

تقع شيكوبو شيما عند النهاية الشمال غربية من بحيرة بيوا، في مقاطعة أومي. ويبلغ طول البحيرة خمسة وثلاثين ميلاً وعرضها عشرين ميلاً. ويقال إن هذه الجزيرة مقدّسة وقد نشأت في حوالي العام 600 ق.م. نتيجة زلزال، وأن جبل فوجي قد ظهر في الوقت نفسه. كما لدينا التاريخ الجغرافي لبحيرة بيوا وجزيرتها الرئيسة.

إن اليابسة الأقرب لشيكوبو هي رأس تسوزوراو، وهو على بعد ميلين منها. في ذلك المكان، ومنذ ثلاثمئة سنة، عاشت شقيقتان، الآنسة تسورو والآنسة كايم، وقد كانت الأولى في الخامسة عشرة من عمرها والثانية في الحادية عشرة. وقد عاشتا مع خالهما العجوز الوحيد، بعد أن مات والدهما ووالدتهما

Twitter: @ketab_n

وأقاربهما جميعاً. كانت تسورو (الغرنوق) وكايم (السلحفاة) مخلصتين لبعضهما بعض، ومتعلقتين ببعضهما أشدّ تعلّق فهما كل ما تبقى من العائلة. كانتا تحبّان بعضهما حباً جماً حتى يستحيل التفريق بينهما.

في ذلك الوقت، كان الذعر يسكن قلوب سكان تسوزوراو بسبب سمكة نهرية عملاقة، كانوا يسمونها سيدة بحيرة بيوا. يقال إن هذه السمكة كانت تأكل الهررة والكلاب وتلتهم البشر أحياناً إن لم يكونوا أذكياء كفاية ليسبحوا على عمق لا تستطيع السمكة بلوغه. وكانت هذه السمكة تجول في المياه المحيطة بجزيرة شيكوبو، عند النهاية الشمالية للبحيرة.

عندما بلغت الآنسة تسورو عامها الخامس عشر، وشقيقتها الآنسة كايم عامها الحادي عشر، أُصيبت الآنسة تسورو بداء السلّ وتدهورت حالتها من سيء إلى أسوأ. فانفطر قلب الآنسة كايم لحال شقيقتها، وبكت بكاءً مريراً، وما تركت معبداً مجاوراً إلا وقصدته تصلّي من أجل شقيقتها. يوماً بعد يوم، ما عادت تفكّر سوى بسقم شقيقتها، إلا أن كل محاولات المسكينة لمساعدة شقيقتها باءت بالفشل، وبقيت حالة الآنسة تسورو تتدهور.

Twitter: @ketab_n

في وسط الحزن والأسى، فكّرت الآنسة كايم أن تقصد جزيرة شيكوبو المقدّسة وتقدّم الصلوات لإلهة الرحمة كوانون. وكان من الضروري أن تذهب وحدها، فقرّرت أن تنطلق برحلتها سراً في تلك الليلة.

حلّ الليل وأخلد أهل بيت خال كايم للنوم، فتسلّلت إلى البحيرة حيث كان قارب خالها وقوارب كثيرة أخرى. فاختارت القارب الأخفّ وتوجّهت إلى جزيرة شيكوبو، تحت السماء الصافية وسط المياه المتلألئة.

وفي أقل من ساعة، كانت الفتاة الطيبة القلب راكعةً أمام تمثال كوانون الذي يبعث السرور والهدوء في النفوس، وكوانون هي الإلهة الجاهزة دائماً للاستجابة إلى صلوات المحزونين. صلت الآنسة كايم من كل قلبها، وكانت عيناها غارقتين بالدموع من شدّة حزنها على شقيقتها السقيمة.

أنهت المسكينة كايم صلاتها، وركبت قاربها عائدةً إلى تسوزوراو. ما كادت تجتاز نصف ميل من طريق العَودة، حتى هبّت عاصفة شديدة وقلبت قاربها. لم تكن الآنسة كايم تجيد العوم، فغرقت في أعماق البحيرة وما إن رأتها السمكة النهرية العملاقة حتى أسرعت إليها والتهمتها.

Twitter: @ketab_n

في صباح اليوم التالي، دبّ الذعر في تسوزوراو، عندما لاحظوا اختفاء الآنسة كايم وقارب أحد الصيادين، فكان من الطبيعي أن يظنوا أنها ذهبت إلى البحيرة، وعلى الأرجح إلى جزيرة شيكوبو لتقديم الصلوات للإلهة كوانون.

انطلقت القوارب تبحث عن كايم لكنها لم تجد سوى آثار أقدامها على طول الشاطئ وصولاً إلى مزار إلهة الرحمة كوانون. كانت الآنسة تسورو على شفير الموت وازدادت حالتها سوءاً عند سماع هذا الخبر، فهي لا تستطيع تحمّل فكرة العيش من دون شقيقتها الآنسة كايم. فقرّرت أن تنهي حياتها في المكان الذي تعتقد أن الآنسة كايم لقيت حتفها فيه، علّ روحيهما تولدان معاً من جديد. كلّ ما أرادته هو اللحاق بشقيقتها.

حلّ الليل، وتسلّلت الآنسة تسورو من غرفتها إلى الشاطئ، وتماماً كما فعلت شقيقتها، اختارت القارب الأخفّ وركبته وراحت تجذف بالرغم من ضعفها، حتى وصلت إلى مكان تعتقد أن السمكة النهرية قد تكون قد التهمت شقيقتها فيه. فوقفت على حافة القارب وصرخت: «أيتها السمكة العملاقة، أنتِ التي التهمتِ شقيقتي، التهميني أنا أيضاً، علّ روحينا تسلكان السبيل نفسه فنجتمع من جديد. ولهذه الغاية سألقي بنفسي في البحيرة!».

Twitter: @ketab_n

قالت الآنسة تسورو كلمتها، وأغمضت عينيها، وقفزت في الماء. وراحت تغوص حتى وصلت إلى قعر البحيرة وما كادت تشعر بوجودها تحت الماء حتى سمعت أحداً يناديها باسمها.

فقالت في نفسها: «من الغريب أن أسمع اسمي في قعر بحيرة بيوا!».

فتحت عينيها فرأت كاهناً يقف إلى جانبها، فسألته من يكون وماذا يريد منها.

فأجابها: «كنتُ كاهناً، ولعلّي كاهنٌ الآن. في كلّ الأحوال، غالباً ما آتي إلى قعر البحيرة. أعرف كل شيء عن شقيقتك كايم، عن إخلاصها ومحبّتها الكبيرين لك ومبادلتك لها الحبّ والإخلاص. أعرف أيضاً بشأن العاصفة التي قلبت قاربها بعد أن جاءت تقدّم الصلوات للإلهة كوانون في جزيرة شيكوبو، كما أعرف بشأن السمكة النهرية التي التهمتها. صدّقيني، لا يشكّل كلّ ما قلته سبباً كافياً للقضاء على حياتك. عودي إلى اليابسة وصلّي لبوذا من أجل روح شقيقتك. أرى أنك تريدين الثأر من السمكة النهرية، وأعتقد أنك ستتحسّنين وستزدادين قوّة. أمسكي بيدي وأنا سأعيدك إلى الشاطئ».

Twitter: @ketab_n

قال الكاهن كلمته، ثم رافق تسورو إلى الشاطئ واختفى. فقدت تسورو الوعي لوقت قصير وعندما استفاقت وجدت نفسها في جزيرة شيكوبو، وشعرت أنها أفضل حالاً بكثير من ذي قبل، فتوجّهت إلى مزار إلهة الرحمة كوانون وأمضت الليل بطوله تصلّي.

في الصباح، توجّهت تسورو إلى الشاطئ، فرأت قوارب متجهة إليها من ناحية تسوزوراو، لكن ما أدهش ناظريها كانت السمكة النهرية العملاقة، التي يبلغ طولها تسعة أقدام، وقد كانت ميتة!

وكان من بين القوارب التي أتت للبحث عنها، قاربٌ يحمل خالها والكاهن.

روَت تسورو ما حدث معها. ودُفِنَت السمكة في موضع على الجزيرة اسمه ميازاكي. وقد أُسمِيَ ذلك المكان كوازوكا ميا زاكي (قبر السمكة النهرية في معبد الرأس).

عاشت الآنسة تسورو عمراً مديداً وما عرفت السقم مجدداً. ويقال إنها في السبعين من عمرها، عندما أتى أوتا نوبوناغا لتدمير المعابد المجاورة، أنذرته بالقضاء عليه بنفسها إذا ما تجرأ على المسّ بالمزارات في جزيرة شيكوبو.

Twitter: @ketab_n

التقمّص

في الجزء الشمالي الجبلي من مقاطعة إشيغو، كان معبدٌ تُحكى عنه قصّة مشوّقة تعود إلى عهد الإمبراطور إيشيجو. وقد حكم هذا الإمبراطور فترةً طويلة من العام 987 حتى العام 1011 م. إلا أن راوي هذه القصّة أكّد لي أن المعبد الذي سنتكلّم عنه ما زال موجوداً.

اسم المعبد كينوتو وهو يقع بين تلال الغابات البرية التي كانت في تلك الأيام أشبه بالغابة العذراء.

وكان رئيس الكهنة في ذلك المعبد ناسك شاب، وكان يقرأ العظات المقدّسة من كتاب بوذا المقدّس بصوت مرتفع مرّتين يومياً.

وذات يوم، لاحظ الناسك أن قردين أتيا من أعلى الجبل وجلسا يصغيان إلى قراءته بجدّية تامة. لم يُعِر الناسك الأمر أهمية، فابتسم وأكمل القراءة. وما كاد ينتهي حتى انطلق القردان يعدوان على التلال.

Twitter: @ketab_n

فوجئ الناسك في اليوم التالي عندما أتى القردان في وقت تلاوته العظة، وفي اليوم الثالث عادا في الوقت نفسه فلم يتمكّن الناسك من ردع نفسه عن السؤال عن السبب.

قال القردان: «لقد أتينا يا حضرة الناسك لأننا نحبّ أن نستمع إليك تقرأ كلمات بوذا وعظاته، كما أننا نرغب في حفظ الحكم والفضائل التي ذكرتها. أمن الممكن أن تنسخ لنا كتاب بوذا المقدّس؟».

فأجاب الناسك والدّهشة تعلو وجهه: «إن هذا العمل لمضن، لكن نادراً ما كانت الحيوانات تهتمّ بعظات القدير بوذا، لذا سأبذل ما بوسعي لأحقق رغبتكما، آملاً أن تدرّ عليكما خيراً».

انحنى القردان أمام الناسك ثم غادرا مع الوعد الذي قطعه عليهما، أما الناسك فانكبّ على عمله المضني بنسخ كتاب بوذا المقدّس. بعد مرور ستة أو سبعة أيام، قصد المعبد زهاء خمسمئة قرد، وفي يد كلّ منهم ورقة من الرق، وضعوها أمام الناسك، ثم عبّر كبيرهم عن امتنانهم للناسك الذي نسخ الكتاب المقدّس لأنه بذلك ساعدهم على معرفة القوانين وبالتالي اختيار الطريق القويم. بعد ذلك، انحنت القرود أمام الناسك ثم غادرت وبقي القردان الأولان اللذان أخذا على عاتقهما مهمّة إحضار الطعام

Twitter: @ketab_n

للناسك وهو ينسخ الكتاب المقدّس. يوماً بعد يوم، كان القردان يقصدان الجبال ويعودان مع الفاكهة البرية والبطاطا والعسل والفطر، والناسك يكتب من دون توقف، ويكدّ ليكتب خمسة أجزاء من الكتاب المقدّس.

عندما أنهى الناسك كتابة الجزء الخامس، لم يأتِ القردان، فقلق عليهما. وفي اليوم الثاني لم يأتيا أيضاً، فذهب يبحث عنهما خشية أن يكونا واقعين في مأزق ما. وجد الناسك آثار القردين يحضران له الطعام في كل مكان، فرأى الأغصان المتكسّرة من أشجار الفاكهة البرية، ورأى الحفر حيث كانا يبحثان عن البطاطا البرية. من الواضح أن القردين عملا جاهدين لإحضار الطعام للناسك، الأمر الذي زاد من قلق المسكين عليهما.

في النهاية، وصل إلى أعلى الجبل، فقفز قلبه في صدره وشعر بأسىً لا يضاهيه أسىً لرؤيته حفرة كان القردان قد حفراها بحثاً عن البطاطا البرية، وكانت الحفرة أعمق من أن يتمكّنا من الخروج منها. لا شك في أن القردين ماتا منفطرَيْ القلب، وهما يخشيان أن يظنّ الناسك أنهما هجراه.

ما كان أمام الناسك سوى دفن القردين والصلاة على روحيهما، ثم راح ينتقل من معبد إلى آخر. ولم تعد من حاجة

Twitter: @ketab_n

لإكمال نسخ كتاب بوذا المقدّس، فوضع الأجزاء الخمسة التي نسخها في خزانة ذات رفوف في إحدى دعائم المعبد.

بعد مضيّ أربعين عاماً، وصل إلى المعبد كينومي تا كا آسون الذي أصبح حاكم مقاطعة إشيغو. وكان يرافقه خدّامه وحاشيته، وقد أتى يسأل الكهنة إن كانوا يعرفون شيئاً عن النسخة غير المنجزة من كتاب بوذا المقدّس، وإن كانت ما زالت موجودة في المعبد.

فأجاب الكهنة: «نحن لا نعرف شيئاً عن الأمر، فأحدٌ منا لم يكن هنا في ذلك الوقت. إلا أن في المعبد خادماً عجوزاً، له من العمر خمس وثمانين سنة، قد يستطيع أن يفيدك بشيء. سننادي عليه فتقابله».

بعد ذلك، دخل رجلٌ ملتح بلحية بيضاء كثة.

قال العجوز: «هل الكتاب الذي بدأ ناسكٌ بنسخه بناءً على طلب قردين هو ما تبحث عنه؟ إن كان ذلك ما تبحث عنه فأنا أقول لك إن أحداً لم يمسّ هذه النسخة مجدداً، وهي قليلة الأهمية حتى إنني قد نسيتها. وضع الناسك هذه النسخة على رف سرّي في إحدى دعائم المعبد. سأذهب لإحضارها».

Twitter: @ketab_n

بعد عشر دقائق، كانت النسخة في يدَيْ كينومي تا كا آسون الذي غمرته البهجة لرؤيتها. فأخبر الكهنة والعجوز أنه حاكم مقاطعة إشيغو وأنه قصد المعبد بهدف البحث عن هذه النسخة من الكتاب المقدّس.

قال: «لقد كنت أحد القردين اللذين رغبا في الحصول على نسخة عن عظات بوذا، والآن وقد وُلِدتُ إنساناً، أريد أن أكمل هذه النسخة».

أخذ كينومي تا كا آسون الأجزاء الخمسة معه، وبقي ينسخ الكتاب المقدّس خمس سنوات، حتى نسخ الثلاثة آلاف جزء، ويقال إنها موجودة الآن في معبد كينوتو في إشيغو، وهو يُعتبَر الكنز المقدّس في هذه المقاطعة.

Twitter: @ketab_n

غطّاسة خليج أويزو

أصبحت أويزو في مقاطعة ساغامي، مكاناً مشهوراً جداً ذلك أنها مكان إقامة المركيز إيتو والكثير من الشخصيّات الراقية في اليابان. إليكم قصة رومانسيّة نوعًا ما، تعود إلى عصر نينان.

في خلال السنوات الأولى من ذلك العصر الذي امتدّ من العام 116حتى العام 1169ق.م، مرض رجلٌ نبيلٌ اسمه تاكاداي جيرو في مدينة كاماكورا حيث كان ينهمك في عمله ونُصح بتمضية شهر أغسطس الحارّ في أويزو والتنعّم بالراحة والسلام والهدوء.

حين حصل تاكاداي جيرو على الإذن بتلك العطلة، توجّه إلى أويزو على الفور ووجد له نزلاً مقابلاً للبحر. كان تاكاداي من محبّي اليابسة، ونادراً ما رأى البحر (باستثناء خدمته في كاماكورا)، فسُرَّ في التأمّل بالبحر ليلاً نهاراً، هو الذي كان، كما حال معظم اليابانيين الأثرياء، شاعرياً رومنسياً.

Twitter: @ketab_n

بعد أن وصل تاكاداي إلى أويزو، شعر بالضجر والإضطراب. وما كاد يدخل غرفته، حتى خلع ملابسه ونزل إلى البحر. كان تاكاداي في الخامسة والعشرين من عمره، وكان سبّاحاً ماهراً، فغطس في الماء من دون أدنى خوف وابتعد زهاء نصف ميل عن الشاطئ. ولكن لسوء الحظ، فاجأته المحنة، وأُصيب بتشنّج حادّ وبدأ يغرق. في ذلك الوقت، تصادف أن مرّ قارب صيد فيه رجلٌ وغطّاسةٌ، فرأياه وهبّا لإنقاذه. إلا أن تاكاداي فقد وعيه وغرق في المياه عميقاً.

قفزت الفتاة من القارب وسبحت حتى وصلت إلى نقطة اختفاء تاكاداي، ثم غاصت إلى الأعماق وسحبته إلى سطح الماء، وأمسكت به منتظرةً اقتراب القارب. ثم تمكّنت الفتاة ووالدها بجهودهما المتضافرة من حمل تاكاداي إلى متن القارب، بعد أن شعر أن الذراع الناعمة حول عنقه كانت ذراع امرأة.

استعاد تاكاداي وعيه قبل بلوغهم الشاطئ، ورأى أن مسعفته غطّاسة يابانيّة جميلة لا يتجاوز عمرها السبعة عشر عاماً. لم يرَ فتاةً بجمالها، ولا حتى في المجتمع الراقي الذي اعتاده. وقع تاكاداي في حبّ منقذته قبل وصول القارب إلى الشاطئ الصخري. بعد ذلك، عقد العزم على ردّ الجميل فساعد الرجل

Twitter: @ketab_n

وابنته في حمل القارب إلى الشاطئ المنحدر، ثم نقل الأسماك والأشباك معهما إلى كوخهما. بعد ذلك، شكر الفتاة على عملها الشهم والشجاع، وهنّأ الوالد بابنته، ثم عاد إلى النزل على بعد لا يتجاوز المئة ياردة.

منذ ذلك الحين، لم يعرف تاكاداي السلام. فقد تملّكه حبٌّ مجنونٌ سرق النوم من عينيه ليلاً ولم يفارق خياله وجه تلك الفتاة الجميلة التي كان اسمها (وقد تحقق منه) كينو. حاول جاهداً أن يكفّ عن التفكير فيها لكن من دون جدوى. وفي النهار، كان الوضع أسوأ فالآنسة كينو كانت تختفي عن الأنظار وتذهب برفقة والدها إلى البحر وتغطس لتجلب الأصداف وغيرها، وما كانت تعود إلا بعد حلول الظلام فلا يعود بإمكان تاكاداي رؤيتها.

في أحد الأيام، حاول تاكاداي التكّلم مع الآنسة كينو، لكنها لم تعرف ما تقول فشغلت نفسها بمساعدة والدها في حمل الأسماك والشباك إلى الكوخ. استاء تاكاداي جداً وعاد إلى غرفته غاضباً ومغرماً أكثر من قبل.

صار حبّ تاكاداي للغطّاسة يزداد يوماً بعد يوم، حتى إنه لم يعد يحتمل. ففكّر أن البوح بمشاعره تجاهها سيشعره بالارتياح.

Twitter: @ketab_n

وما كان منه إلا أن ائتمن خادمه على سرّه، وأرسل معه رسالة إلى كوخ الصيّاد. لم تكتب الآنسة كينو حتى رداً على الرسالة، بل طلبت من الخادم العجوز أن يشكر سيّده بالنيابة عنها على تلك الرسالة وعلى تقدّمه للزواج منها. وقالت له: «قل له أيضاً إنه من غير الجائز أن يرتبط رجلٌ من أسرة رفيعة المستوى بفتاة فقيرة مثلي. فلا يمكن أن ينتج عن هذا الارتباط عائلة سعيدة. ورداً على اعتراض الخادم، أضافت كينو: «أخبرتك بما أريدك أن تقوله لسيدك: أبلغه رسالتي».

لم يغضب تاكاداي جيرو لسماعه ردّ الآنسة كينو بل اكتفى بالاندهاش. فهو لم يظنّ يوماً أن غطّاسةً قد ترفض الزواج منه، هو الساموراي من الطبقة العليا. في الواقع، لم يشعر بالاستياء بل تفاجأ برفضها وكان سروره من نوع آخر، فقد ظن أنه ربما فاجأ الآنسة كينو وجاء رفضها نتيجة خجل لا عجب فيه. فقال في نفسه: «سوف أنتظر يومًا أو اثنين، فكينو تعلم الآن بحبّي لها، ولابدّ من أن تفكر بي وقد تتلهّف لرؤيتي. سوف أبتعد عن طريقها. ربما بهذه الطريقة ستتوق لرؤيتي تمامًا كما أتوق لرؤيتها».

Twitter: @ketab_n

لازم تاكاداي غرفته لمدّة ثلاثة أيّام ظنًّا منه أن كينو تتوق إليه توقًا شديدًا. في ليلة اليوم الرابع، كتب إليها رسالةً عبّر فيها عن حبّه الشديد أكثر منه في الرسالة الأولى، ثم أرسلها مع خادمه وانتظر الردّ بصبر.

أمسكت الآنسة كينو الرسالة، ثم ضحكت وقالت: «حقاً أيها الشيخ، تبدو لي مضحكاً جداً وأنت تحضر إليّ الرسائل. هذه الرسالة الثانية في أقل من أربعة أيام، وهي المرّة الأولى التي أحصل فيها على رسائل في حياتي. إني لأتساءل عن مضمون هذه الرسالة».

لفظت كينو هذه الكلمات وهي تفتح الرسالة ثم قرأتها، ونظرت إلى الخادم وقالت له: «أنا لا أفهم، إن أوصلت رسالتي بشكل واضح إلى سيدك، فلا يسعه إلا أن يدرك أنني لا أستطيع الزواج منه. فهو ذو شأن عال. أسليمُ العقل سيدك؟».

أجاب الخادم: «أجل، لولا حبّه لكِ، لكان كذلك، لكنه منذ أن التقاكِ لا يكفّ عن التحدّث عنك ولا يفكّر سوى بكِ لدرجة أنني تعبتُ من ذلك، وصرت أصلّي يوميًّا إلى الإله كوانون وأطلب أن يبرد الطقس فنعود إلى عملنا في كاماكورا. بقيت ثلاثة أيام في النزل أستمع إلى أشعار الغرام والجمال التي

Twitter: @ketab_n

كتبها لك سيّدي. كنت أتمنّى أن نذهب، كما أي عاقل آخر، إلى صيد أسماك الأبرومي السمين اللذيذ. أجل، كان سيّدي سليم العقل لكن يبدو أنك سلبته صوابه. من فضلكِ تزوّجي به فنكون جميعاً سعداء ونذهب للصيد كل يوم ولا نضيّع المزيد من الوقت من هذه العطلة المميّزة».

أجابت الآنسة كينو: «أنت شيخٌ أنانيٌّ، أتريدني أن أتزوّج لإرضاء سيّدك ولإشباع رغبتك في الصيد؟ قلت لكَ أن تخبر سيّدك بأنني لن أتزوّج منه فنحن لا نستطيع ان نسعد معاً لأننا ننتمي إلى طبقتين مختلفتين. فاذهب وكرّر إجابتي لسيدك».

توّسل الخادم إليها مرّةً أخرى لكن الفتاة كانت ثابتةً في موقفها، فوجد الشيخ نفسه مجبراً على إبلاغ سيّده الخبر السيء.

مسكينٌ تاكاداي! فقد حزن حزناً شديداً هذه المرّة لأن الفتاة رفضت حتى أن تقابله. ماذا عساه يفعل؟ توسّل إلى الشابة برسالة أخرى وتكلّم مع والدها؛ لكن الوالد قال له: «يا سيّدي، ابنتي هي كلّ ما لديّ في هذه الدنيا، لا أستطيع التأثير عليها في مسألة تتعلّق بحبّها ومشاعرها. بالإضافة إلى ذلك، جميع الغطّاسات هنا يتمتّعنَ بقوّة عقليّة وبدنيّة، فالخطر المتواصل يزيدهنّ صلابةً، على عكس الفلاحات الضعيفات اللواتي يمكن التأثير عليهنّ

Twitter: @ketab_n

وحتى أمرهنّ بالزواج من رجال يكرهنهم. وفي الكثير من الأحوال، تبدو عقول هذه الغطّاسات أقوى من عقولنا نحن الرجال. لطالما نفذت ما كانت تقوله لي والدة كينو ولا أقدر أن أضغط على كينو بقرار كالزواج. قد أعطيها نصيحتي ومن واجبي فعل ذلك، لكن في هذه الحالة يا سيّدي، أرى أنها محقّة، فمن غير الحكيم أن تتزوج من رجل يفوقها بمراتب في الحياة».

انفطر قلب تاكاداكي، فما من كلمة إضافية يقولها أو عمل يقوم به. انحنى أمام الصياد احترامًا وهرع مباشرةً إلى غرفته في النزل ولم يفارقها قطّ، زارعاً القلق في نفس خادمه.

راح تاماداي يزداد نحولاً يومًا بعد يوم، ومع اقتراب موعد رحيله، ساءت حالته حتى إنه أصبح أسوأ منه عند مجيئه إلى أويزو. ما عساه يفعل؟ حتى في المثل القديم: لا تأسف على حب فقدته فكل حبيبة بعدها حبيبة، لم يجد تاكاداي عزاءً. بالنسبة إليه، ما عاد للحياة قيمة، فقرّر أن يضع حداً لحياته في البحر، علّ روحه تهيم فيه وتلتقي أحيانًا تلك الشابّة الرائعة التي فتنت قلبه.

في تلك الليلة، كتب تاكاداي رسالةً أخيرة لكينو وانتظر حتى نام سكان أيوزو جميعهم، ثم ذهب إلى الكوخ ومرّر الرسالة من أسفل الباب. بعد ذلك، ذهب إلى البحر وأوثق حبلاً حول

Twitter: @ketab_n

صخرة كبيرة وحول عنقه، وجلس في قارب وجذف زهاء ثلاثمئة ياردة عن الشاطئ، ثم حمل الصخرة وقفز في الماء.

في صباح اليوم التالي، أصيبت الآنسة كينو بصدمة حين قرأت في الرسالة أن جيرو تاكاداي قتل نفسه حباً بها. فهرعت نحو البحر لكنها لم ترَ سوى قارب صيد فارغ على بعد ثلاثمئة أو أربعمئة ياردة عن الشاطئ. سبحت نحوه ووجدت علبة دخان تاكاداي وعلبة الاسعافات الأولية. فكّرت كينو أنه لابدّ من أنه رمى بنفسه في البحر قريباً من قاربه، فبدأت تغوص حتى الأعماق وسرعان ما وجدت الجثة، فسحبتها إلى سطح الماء بعد معاناة مع الصخرة الثقيلة التي أحكمت الامساك بها. سحبت كينو الجثة إلى الشاطئ حيث وجدت الخادم المسن يفرك يديه قلقاً وحزناً.

أُرسلت الجثة إلى كاماكورا حيث دُفِنَت. حزنت الآنسة كينو حزناً شديداً وأخذت عهدًا على نفسها بألاّ تتزوّج أبداً. صحيحٌ أنها لم تُغرم بتاكاداي لكنه أحّبها ومات من أجلها، وإن أقدمت على الزواج، فلن ترقد روحه بسلام.

ما كادت كينو تتّخذ ذلك القرار النبيل في قرارة نفسها حتى حصل أمرٌ غريبٌ جدّاً.

Twitter: @ketab_n

بدأت طيور النورس غير المألوفة في خليج إيوزو، تتوافد بأعداد كبيرة وتحوم فوق البقعة عينها حيث رمى تاكاداي نفسه. كان الطقس عاصفاً والطيور تحوم فوق البقعة على جناح الريح؛ لكنها لم تبتعد قط عن المكان. وجد الصيّادون الأمر مدهشاً، أما كينو فأدركت أن روح تاكاداي انتقلت إلى تلك الطيور. فما كان منها إلا أن صارت تقصد المعبد باستمرار وتصلّي من أجل راحة نفس تاكاداي، ومن مدّخراتها القليلة بنت ضريحاً تخليداً لذكراه.

مرّت السنوات وبلغت كينو عامها العشرين، وذاع جمالها فكثرت عروض الزواج، لكنها جابهتها بالرفض التزاماً بعهد العزوبية الذي قطعته على نفسها. بقيت طيور النورس تحوم طيلة حياتها فوق البقعة نفسها حيث رمى تاكاداي نفسه. وبعد تسع سنوات على وفاة تاكاداي، غرقت كينو في إعصار قويّ ضرب المنطقة، ومنذ ذلك الحين، اختفت طيور النورس، وهذه إشارة إلى أن روح ياكاداي لم تعد قلقة وخائفة من زواج كينو من رجل سواه.

Twitter: @ketab_n

سرقة تمثال الإلهة كوانون الذهبي واسترداده

في عهد غين روكو الذي امتدّ من العام 1688 حتى العام 1704، حين كان القائد العسكري تسونايوشي مسيطراً بالكامل، قدّم لكل من العائلات الثلاث الرئيسة في مقاطعات كي وميتو وأواري، تمثالاً ذهبياً يجسّد إلهة الرحمة كوانون، واعتبر أسياد هذه العائلات أن هذه الهديّة قيّمة جداً، فاحتفظوا بها في قصورهم حتى تكون بمأمن من أيدي اللصوص، حتى إن سيد كي اتخذ تدابير احترازية إضافية فعيّن رجلاً يحرس التمثال ليلاً نهاراً.

وقد عاش في تلك الأيام أيضاً أكثر اللصوص فظاعة، وكان اسمه يايغومو. لم يكن يايغومو لصاً عادياً، بل كان كما يلقبّه الجميع فوين كيري أو كاسر الأقفال، لصّ من الدرجة الأولى لا ينهب الفقراء ولم ينهبهم يوماً بل يستهدف قصور الأغنياء وقلاعهم ويسرق منها أغلى الكنوز وأثمنها.

Twitter: @ketab_n

اقتحم هذا اللصّ قصر سيد كي، ولا أحد يدري كيف، سرق تمثال كوانون وخرج بعد أن ترك اسمه على ورقة صغيرة. غضب سيد كي غضباً شديداً فأرسل بطلب حارس التمثال موماشيما إغانوزوكي فأنبه ووبّخه متسائلاً عن العذر الذي سيقدّمه. فأجاب الحارس: «أصابني التعب وغلبني النعاس. لا يسعني التكفير عن ذنبي إلا بقتل نفسي».

كان سيد كي رجلاً حكيماً، ففكّر أنه سيكون من المفيد أن يقبض إغانوزوكي على اللصّ ويستردّ التمثال بدلاً من قتل نفسه. فوافق الخادم المخلص إغانوزوكي وحصل على إجازة من سيّده ثم غادر. مرّت أربعة أشهر ولم ينجح إغانوزوكي في إتمام مهمّته بالرغم من أنه جال نصف البلد تقريباً. في النهاية، سمع أخباراً عن سرقات في شوغوكو وبعدها في مقاطعة شيكوكو، فما كان منه إلا أن توجّه من إيزومو إلى أوكاياما وركب السفينة متوجّهاً إلى شيكوكو بحر تاكاماتسو الداخلي. كان الطقس جيداً والبحر هادئاً، وكانت معنويات إغانوزوكي مرتفعةً بعد أن سمع أنه من المؤكّد أن عملية سرقة أو اثنتين قد وقعتا على يد يايغومو، فشعر أنه على الأقل سيكون قريباً من الرجل الذي يرغب في القبض عليه. فكّر إغانوزوكي أن اللصّ قد يكون على

Twitter: @ketab_n

متن هذه السفينة حتى، من يدري؟ لذا فضّل البقاء وحيداً يراقب الناس الذين كانوا متأثّرين أيما تأثّر بالطقس، فقد كانوا جميعاً لطفاء مؤنسين، حتى الغرباء منهم.

وكان من بينهم محارب وسيم، جذبه إغانوزوكي بمظهره المهذّب، وبالغليون الذهبي الذي أخذه من علبته يدخّنه وهو يحادث جاره. فيما بعد، جاء إلى الشاب ساموراي يبلغ من العمر ستين عاماً وقال: «سيدي، لقد فقدت غليوني وعلبة التبغ في مكان ما على ظهر هذه السفينة. أنا مدمنٌ على التدخين وأتشوّق إلى نشقة تبغ، ألا تُعِرني غليونك برهةً أو برهتين؟».

أعطى المحارب الشاب غليونه وعلبة التبغ للشيخ وانحنى أمامه قائلاً إن هذا من دواعي سروره.

نفخ الساموراي العجوز ثلاث نفخات في الغليون، بعد ذلك أراد أن يفرغه من الرماد ليملأه بالتبغ من جديد، ومن دون انتباه، نقر الغليون فوق البحر يفرغه، فوقع الغليون في من يده وسقط في الماء. عرف العجوز أن الغليون من ذهب فارتبك ولم يعرف ما يقول. فراح يعتذر ويعتذر لكن اعتذاراته لم تُرجع الغليون. انزعج الساموراي الشاب مما أصاب غليونه لكن ما كان الغضب لينفعه، كما أن ذلك سيكون تصرّفاً بذيئاً، خاصةً أن

Twitter: @ketab_n

الرجل مسنّ، فقال: «أعطاني هذا الغليون رئيس قبيلتي مكافأةً على الصيد الوفير في العام الماضي، ولا أعرف كيف سأواجه غضبه بعد العار الذي جلبته لنفسي». شحب وجه المحارب الشاب واستغرق في التفكير.

أسف الساموراي المسنّ أسفاً شديداً لسماعه ذلك وقال: «لا يوجد حلّ لمواجهتك سيدك سوى بموتي. أنا أيضاً كنتُ ساموراي مهماً في شبابي وأعرف حسن السلوك، لذا سأنزع أحشائي اعتذاراً على إهمالي. قال الساموراي المسنّ ذلك ثم همّ بنزع ردائه.

تأثّر الساموراي الشاب بنزاهة الشيخ فما كان منه إلا أن أمسك بيده التي حمل بها الخنجر وقال له: «لن يفيد انتحارك بشيء، فهو لن يسهّل عليّ مهمّة شرح الأمر لسيدي. لن يشكّل انتحارك أي عذر له، فأنا من أعطاه الغليون، وأنا الذي فقدته عندما أعرتك إياه. وبالتالي أنا من عليه تقديم الاعتذار لسيدي بالانتحار»، ثم استعدّ الساموري الشاب لقتل نفسه.

اقترب إغانوزوكي الذي كان يراقب الحادثة وقال: «أيها السيدان، أنا أيضاً محارب وقد سمعت حديثكما. صحيحٌ أن الغليون وقع في البحر إلا أن ذلك لا يجعل استرداده مستحيلاً.

Twitter: @ketab_n

أرى أن كليكما متسرّع، لكن لا حاجة إلى ذلك، فأنا سبّاح وغطّاس ماهر وسفينتنا متوقّفة الآن والمياه تحتنا ليست عميقة جداً. أنا مستعدّ لمساعدتكما على استرداد الغليون إن سمحتما لي بذلك».

سُرَّ المحاربان بهذه الفكرة، فأحد منهما لم يكن يجيد السباحة، ولم يتأخر إغانوزوكي حتى خلع رداءه وغطس في البحر تماماً كما اعتاد أن يفعل في موطنه فهو سبّاح ماهر منذ صغره حتى إنه أعطى دروساً في السباحة للكثير من محاربي الساموراي في مقاطعة كي.

نزل إغانوزوكي حتى وصل إلى قعر البحر ولم يكن عمق المياه يتجاوز السبع قامات والقامة وحدة قياس يابانية تساوي خمسة أقدام. كانت الحجارة تغطّي قعر البحر، وكانت مياهه شديدة الصفاء. لم يكن إغانوزوكي مضطراً إلى البحث طويلاً ليجد الغليون فقد لاح أمامه كما لاح له في الوقت نفسه شيئاً يلمع بين الحجارة. حمل إغانوزوكي الغليون بين أسنانه وأمسك بالشيء الآخر، وكم دُهِشَ عندما رأى أن هذا الشيء اللمّاع ليس سوى تمثال كوانون الذهبي الذي سُرِقَ من قلعة سيد كي.

عاد إغانوزوكي بحذر إلى سطح الماء، ثم اعتلى ظهر السفينة،

Twitter: @ketab_n

وأعطى الغليون للساموراي الشاب الذي شعر بالامتنان وانحنى مع الساموراي العجوز احتراماً لإغانوزوكي.

كان إغانوزوكي يرتدي ثيابه عندما قال: «أنا خادم سيد كي، وقد أتيت من قلعة تاكيغاكي للقبض على اللصّ الذي سرق تمثال الإلهة كوانون، وقد شاء القدر أن أجد التمثال وأنا أبحث عن الغليون. أليس هذا رائعاً؟». فأجاب الشيخ قائلاً: «صدق المثل بالفعل فمن سعى لخدمة الآخرين خدم نفسه».

صاح الخادم وقال: «أن الأمر أكثر غرابة ممّا تعتقدان. اسمي ماتسوري فوجيي وأنا من تاكاماتسو. منذ شهر اقتحم اللصّ ياييغومو كاسر الأقفال، غرفة سيدي وكان على وشك سرقة أغراض ثمينة لكنني كنت أحرس المنزل في ذلك الوقت وحاولت القبض عليه. صحيحٌ أنني طاعن في السن لكنني مبارزٌ جيد. إلا أنه فاقني ذكاءً وتمكّن من الفرار. لحقت به إلى الشاطئ، لكنه فاقني سرعة وسبقني بمسافة كبيرة، فوقفت أتساءل عمّا كان يلمع في جيبه. لم يبتعد اللصّ كثيراً عن الشاطئ عندما هبّت عاصفة قويّة حطّمت قاربه وأغرقته. وبعد أيام قليلة وُجِد قاربه وجثّته، وقد تعرّفت هويّته إلا أن شيئاً لم يكن في جيبه. لا شكّ أنه عندما انقلب به القارب أوقع تمثال كوانون الذي كان يلمع في جيبه.

Twitter: @ketab_n

أنها لصدفة غريبة حقاً.

لم يعد إغانوزوكي يملك سبباً للسفر، فعاد إلى سيد كي، وأخبره بمغامراته وحسن طالعه. ومن شدّة فرحه، كافأه السيد بهدية.

ومنذ ذلك الحين يُحرَسُ تمثال كوانون الذهبي أشدّ حراسة. لا شكّ في أن هذا التمثال يتمتع بقوىً خارقة، ولا يزال حتى اليوم من أثمن كنوز مقاطعة كي.

Twitter: @ketab_n

صخرة ساغيو هوشي

على بعد نحو عشرين ميلاً جنوب جزيرة شودو، تقع جزيرة ناو أو ناوشيما على الجانب الغربي من البحر الداخلي الساحر. وقد كان من حسن حظي أن أبحرت في هذا البحر، بمساعدة الحكومة اليابانية، التي لم تقف عائقاً أمامي نظراً للطف السير إرنست ساتو. ليس عدد سكان ناوشيما كبيراً وأعتقد أنه يتراوح بين الستين والمئة نسمة، إلا أنه في الوقت الذي جرت فيه أحداث قصّتنا أي في العام 1156، كان يسكنها شخصان: سوباي وزوجته الطيبة السيدة يون. عاشا وحيدين على خليج صغير رائع، حيث بنيا كوخ صيد وزرعا نحو ثلاثة آلاف تسوبو من الأرض (والتسوبو هي وحدة قياس يابانية تعادل 3،3 م²)، وقد عاشا سعيدين بمحصول هذه الأراضي وبالأسماك التي كانا يصطادانها، لا تعكّر مزاجهما معارك ذلك العصر الطاحنة في عصر هوغن الذي دام منذ العام 1156 حتى العام 1160، وقد اتّخذ هذا العصر اسمه مما يُعرَف اليوم باسم تمرّد هوغن أو بالأحرى

Twitter: @ketab_n

ثورة هوغن. وفي خلال هذه الفترة الحسّاسة، نُفِيَ الإمبراطور شوتوكو (الذي حكم من العام 1124 حتى العام 1141) الذي كان يُشتبَه بأنه يقود الثورة، إلى جزيرة ناوشيما.

نُفِيَ شوتوكو إلى جزيرة مهجورة ولم يكن يملك سوى الثياب التي يرتديها ممّا جعله في مأزق لا يُحسَد عليه. أدرك أن الجزيرة مهجورة، وبعد أن تُرِكَ راح يجول الشاطئ متسائلاً عمّا سيفعله. أيقتل نفسه أم يكافح للحفاظ على حياته؟ كانت هذه الأسئلة تجول في خاطر شوتوكو عندما هبط الليل، ولم يكن قد فكّر بعد في البحث عن ملجأ، فجلس يستذكر الماضي ويستمع إلى صوت الأمواج الحزينة.

في صباح اليوم التالي، أشرقت الشمس واستيقظ الإمبراطور السابق وفي داخله رغبة في الحياة. لم يبتعد كثيراً عن الشاطئ حتى وجد آثار أقدام على الرمل، وغير بعيد عنها رأى دخاناً يتصاعد من نتوء صغير. شعر الإمبراطور السابق بشعلة أمل في قلبه، فانطلق ليصل بعد عشرين دقيقة إلى الخليج حيث كان كوخ سوباي وزوجته. وعند بلوغه الكوخ، أخبرهما من يكون وكيف نُفِيَ وراح يطرح عليهما الكثير من الأسئلة.

Twitter: @ketab_n

فقال سوباي: «يا سيدي، أنا وزوجتي شخصان متواضعان جداً. نعيش هنا بسلام، لا يعكّر أحدٌ صفو حياتنا. أهلاً بك في كوخنا المتواضع، صحيح أنه صغير لكنه سيكون ملجأً لك حتى نبني لك كوخاً أفضل، ونحن سنكون لك خادمَيْن».

سُرَّ الإمبراطور السابق بسماع هذه الكلمات اللطيفة وأصبح فرداً من العائلة. فساعد الزوجان في بناء مأوىً له، كما ساعدهما في الصيد والزراعة وتعلّق بهما أيما تعلّق.

حلّ فصل الخريف، واستبد السقم بالإمبراطور السابق، فقد أصابته الحمّى، وما كان من السيدة يون إلا أن راحت تصنع له الأدوية من الأعشاب والطحالب ومواد طبيعية أخرى موجودة على تلك الجزيرة. ومع اقتراب الربيع، بدأ الإمبراطور يتعافى. وفي أحد الأيام، وبعد أن تماثل للشفاء، خرج إلى شاطئ البحر يتأمّل المنظر الجميل، واسترعت انتباهه طيور نورس كانت تصطاد أسماك السردين، فغفل عما يدور حوله. وتفاجأ عندما نظر ووجد نفسه مُحاطاً بأكثر من أربعين فارس مدرّع.

وما كاد هؤلاء يلحظون أن الإمبراطور السابق قد رآهم، حتى تقدّم كبيرهم بشعره الرمادي ومظهره اللطيف منه، وانحنى أمامه وقال: «أخيرًا وجدتك يا سيدي الحبيب! اسمي فوروزوكا

Twitter: @ketab_n

إيغا ويؤسفني أن أقول لك إن إمبراطور اليابان قد أرسلني لأقطع رأسك. فبالرغم من نفيك، ما زال يخشى منك على سلامة بلده. من فضلك اسمح لي بقطع رأسك بأسرع وقت ممكن وبأقلّ ألم. يؤسفني ويحزنني جداً فعل ذلك».

لم يُفاجأ الإمبراطور السابق بما سمعه، ومن دون التفوّه بأي كلمة، مدّ عنقه واستعدّ لتلقّي الضربة من سيف إيغا.

تأثّر إيغا بشهامة الإمبراطور السابق ولم يستطع حبس دموعه فراح يبكي ويقول: «يا لك من سيد شجاع! كم يحزنني أن أكون قاتلك! إلا أنه ما كان باليد حيلة، فاستجمع إيغا قواه وبضربة واحدة من سيفه، قطع رأس الإمبراطور السابق».

وقع الرأس على الرمل فتقدّم الفرسان ووضعوه باحترام في حقيبة حريرية وانتظروا الأوامر من قائدهم.

قال فورزوكا إيغا: «يا أصدقائي، اركبوا السفينة وخذوا رأس شوتوكو إلى الإمبراطور. قولوا له إنني نفذت أوامره وإنه لم يعد من داع للقلق على مستقبل بلاده. اذهبوا من دوني، فانا سأبقى هنا أنوح على ما اقترفت يدي».

Twitter: @ketab_n

ذُهِلَ الفرسان مما سمعوه، لكنهم انطلقوا في سبيلهم في الوقت الذي أطلق فيه إيغا العنان لحزنه وأساه.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى راح سوباي وزوجته يبحثان عن الإمبراطور السابق بعد أن لاحظا أن غيابه قد طال. كانا يعرفان المكان الذي كان الإمبراطور السابق يقصده ليتأمّل جمال البحر، وعندما وصلا إليه وجدا إيغا غارقاً في البكاء.

فصرخا: «ما هذا؟ ما كل هذه الدماء على الرمل؟ من تكون أيها السيد؟ وأين هو ضيفنا؟».

شرح لهما إيغا أن إمبراطور اليابان أرسله ليقتل الإمبراطور السابق وأن ذلك ترك في قلبه حسرة ما بعدها حسرة.

غضب سوباي وزوجته غضباً شديداً، وشعرا في الرغبة بالانتقام للإمبراطور السابق بقتل إيغا. فهاجماه بسيفهما، سوباي من الأمام وزوجته من الخلف.

تمكّن إيغا، بفضل مهارته في المسايفة اليابانية، من ردع الزوجين عن قتله، ثم أمسك بهما وقال لهما: «أيها الشخصان اللطيفان، اسمعا قصتي. أن الإمبراطور السابق الذي نُفِيَ إلى

Twitter: @ketab_n

هذه الجزيرة منذ نحو عام، والذي صادقتماه وأنقذتماه من الموت ومن الجوع، ليس الإمبراطور السابق الحقيقي، بل هو ابني فوروزوكا تارو».

عند سماع هذه الكلمات، تملّكت الدهشة سوباي وزوجته فطلبا من فوروزوكو إيغا أن يشرح لهما ما يعنيه بكلامه.

فقال: «بعد الثورة في الإمبراطورية، أصبح الإمبراطور السابق شوتوكو عدواً للإمبراطور الحاكم، مما أدّى إلى نفيه إلى هذه الجزيرة المُفتَرَض أنها غير مأهولة، وفي الواقع ما سكنها أحدٌ غيركما. ولولا مساعدتكما لمات الإمبراطور السابق، إلا أنني بالرغم من إخلاصي للمحكمة الإمبراطورية، لم أُرِد لسيدي الموت. كانت مهمتي أن أحضر الإمبراطور السابق إلى هذا المكان وأتركه من دون مال ولا طعام، لكنني أحضرت ابني بدلاً منه، فقد كان يشبهه أيما شبه وكان سعيداً بتقمص دور الإمبراطور السابق. لسوء الحظ أنه في خلال فصل الشتاء، قلق الإمبراطور الحالي من وقوع أي مشكلة بسبب بقاء الإمبراطور السابق على قيد الحياة، فأرسلني مجدداً إلى جزيرة ناوشيما، لأعود برأس الإمبراطور السابق هذه المرّة. تعرفون الآن ما كان عليّ فعله. أمِنَ السّهل أن يرتكب الإنسان

Twitter: @ketab_n

جريمة شنيعة بحق ابنه؟ مسكينٌ أنا لكن لا تغضبا. أنتما فقدتما صديقكما وأنا فقدت ابني، إلا أن الإمبراطور السابق ما زال على قيد الحياة، وهو على علم بإخلاصي له، وسيكون هنا قريباً في السرّ متنكراً. لهذا السبب بقيت هنا، لقد أخبرتكما قصّتي بالكامل، وكونا على ثقة أنني أشعر بالامتنان لكما على اللطف البالغ الذي عاملتما به ابني تارو».

انحنى الساموراي احتراماً، ولم يجد الزوجان ما يقولاه فلزما الصمت وقد اغرورقت عيونهما بالدموع وارتسم الحزن والشفقة على وجهيهما.

مرّت نصف ساعة وأحدٌ لم يتلفّظ بكلمة. بقي الجميع يبكي وينوح على الشاطئ الملطّخ بالدماء، ينتظرون الموج ليغسل آثار الموت عن الرمال، وفي هذا الانتظار، سمعوا صوتاً عذباً منبعثاً من البيوا (وهي آلة وترية أشبه بالعود). وقف إيغا، مسح دموعه وقال: «انظرا يا صديقيّ، لقد وصل الإمبراطور السابق الحقيقي متنكّراً. هو لا يذهب إلى أي مكان من دون آلته الموسيقية هذه، وهو يتواصل معي من خلال الألحان التي يعزفها. إنه يسأل الآن إن كان من الآمن أن يأتي وإن لم أجبه فهذا يعني أن المكان آمن. اسمعوا وانظروا إليه يقترب منّا!».

Twitter: @ketab_n

لم يسمع سوباي وزوجته أعذب من تلك الألحان، فجلسا يستمعان إليها والحزن يملأ قلبيهما. كانت الموسيقى تقترب أكثر فأكثر، حتى وصل إلى الشاطئ رجلٌ في ثياب رثّة، يشبه صديقهما الميت أيما شبه.

اقترب الإمبراطور السابق، فتقدّم منه إيغا وانحنى أمامه احتراماً، ثم سارا معاً نحو الصيّاد وزوجته فعرّف إيغا الإمبراطور السابق على الزوجين وأخبره عن معاملتهم اللطيفة مع ابنه تارو. سُرَّ الإمبراطور السابق وعبّر عن امتنانه للزوجين واعتبرهما جزءاً من الطاقم الوفي الذي عمل على إنقاذ حياته. بعد ذلك، وصلت إلى الخليج السفينة التي جاء على متنها إيغا والتي أُخِذَ على متنها رأس ابنه. جثا الإمبراطور السابق وإيغا وسوباي وزوجته على الرمل بالقرب من دماء تارو وصلّوا من أجل الراحة الأبدية لروحه.

في اليوم الثاني، أعلن الإمبراطور السابق عن رغبته في تمضية بقية حياته على جزيرة ناوشيما مع سوباي والسيدة يون. أما إيغا فقد أرشده سوباي إلى البرّ الرئيسي وعاد بعدها إلى العاصمة.

عاش الإمبراطور السابق مع الزوجين الوفيين عاماً كاملاً على الجزيرة. وكان يقضي وقته في العزف على آلته الموسيقية

Twitter: @ketab_n

والصلاة لروح تارو. عند نهاية السنة، مات الإمبراطور السابق من الحزن، فكرّس سوباي وزوجته وقت فراغهما لبناء ضريح له يليق به ويخلّد ذكراه. ويقال إن هذا الضريح ما زال موجوداً حتى الآن.

في العام الثالث من عصر نينان، أمضى ساغيو الكاهن والشاعر المشهور غريب الأطـوار، والـذي كان على قرابة بالعائلة الإمبراطورية، أمضى سبعة عشر يوماً على هذه الجزيرة، يصلّي ليلاً نهاراً. وكان يجلس على صخرة تارو والإمبراطور السابق المفضّلة، وتُعرَفُ هذه الصخرة اليوم باسم ساغيو إيوا «صخرة ساغيو».

Twitter: @ketab_n

ماساكوني يستعيد نظره

منذ زهاء سبعين سنة، عاش في كيوتو صانع سيوف مشهور، وُلِدَ في مقاطعة آوا في توكوشيما. عاش أوانوكامي ماساكوني في كيوتو بهدف العمل، وليكون قريباً من منازل الأغنياء الذين كانوا يدفعون له الكثير ليصنع لهم السيوف. كان يعيش مع ابنته الصغيرة الفاتنة آي (ومعناه الحبّ). كانت في الرابعة عشرة من عمرها، لكن جمالها كان كافياً ليحبّها كل من يراها. إلا أن الآنسة آي ما كانت تفكّر سوى بوالدها الذي تحبّه حباً جماً.

مرّ الوقت وكان ماساكوني يتقدّم أكثر فأكثر في فنّ صنع السيوف وطرق شفراتها، حتى أصبح محطّ غيرة وحسد غيره من صانعي السيوف، وقد كانوا جميعاً، بمن فيهم ماساكوني يعيشون في مقاطعة كاراسو تانغو في كيوتو، حيث كانت موضة صنع السيوف رائجة في تلك الأيام. واحسرتاه! فقد دفع ماساكوني عينه ثمناً لمهارته! وعلى الرغم من تمتع محاربي الساموراي والمسايفين بأخلاق عالية، إلا أنه ليس مؤكداً أن

Twitter: @ketab_n

ذلك ينطبق على صانعي السيوف، فهم غالباً ما يرتكبون الجرائم الأكثر جبناً وفظاعة، وقد قرّر أحدهم اقتلاع عين أو عينَيْ منافسهم في صنع السيوف في أثناء نومه. وذات ليلة، استيقظت الآنسة آي على صراخ والدها لتجده يتخبّط ألماً على الأرض، وقد طُعِنَت عينه اليمنى.

أحضرت الآنسة آي المساعدة لكن شيئاً لم يتمكّن من إنقاذ عين والدها. من الممكن أن يلتئم الجرح إلا أن ماساكوني لن يتمكّن مجدداً من الرؤية بعينه اليمنى. لم يتمكن ماساكوني أن يشفي غليله بالقبض على المعتدي عليه، ولا حتى بمعرفته. في ظلّ هذه الظروف، كان من المستحيل أن يزاول ماساكوني مهنة صانع السيوف، فبعد فقدان عينه لن يستطيع إنجاز هذه الأعمال الرفيعة التي كانت السبب في شهرته. فما كان منه إلا أن عاد مع ابنته إلى مسقط رأسه أوهارا في مقاطعة آوا.

مسكين ماساكوني فما مضى عليه الكثير من الوقت في منزله القديم حتى بدأت عينه اليسرى تؤلمه، وقبل انقضاء أسبوع، فقد ماساكوني نظره تماماً.

حزنت الآنسة آي أيما حزن لفقدان والدها النظر. فقد كانت تحبه حباً جماً، وكانت تعرف أن عزاءه الوحيد في الحياة كان

Twitter: @ketab_n

رؤيتها وتأمل جمالها. ما عساها تفعل تلك المسكينة؟ خدمته ليل نهار وكانت له طباخة وممرضة، وعندما استنفدت قواها وساءت حال عين والدها اليسرى، لم يبقَ أمامها سوى الصلاة. فصارت كل يوم تتسلّق جبل شيراتاك البري الصخري، لتصلي في مزار إله الحكمة فودو. كانت تصلي يوماً بعد يوم من أجل التوصل إلى طريقة تشفي بها والدها، وبالرغم من برد شهر يناير القارس، كانت الآنسة آي بعد الصلاة تخلع ثيابها وتقف نصف ساعة تحت الشلال الذي أعطى الجبل اسمه، إذ كانت تلك العادة للتعبير عن الصدق في الصلوات.

بقيت الآنسة آي تقصد الجبل لتصلي يومياً وبقيت تتحمّل برودة الشلال على مرّ ثلاثة أشهر، لكن صلواتها لم تُستَجَب وبقي والدها على حاله. لكنها لم تفقد الأمل، ومع اقتراب نهاية شهر يناير صعدت إلى الجبل مجدداً وصلت لإله الحكمة فوجو وتحدّت البرد مرّة جديدة فخلعت ثيابها ووقفت تحت الشلال تصلّي حتى الرمق الأخير. كان البرد قارساً، ولم تمضِ لحظات طويلة حتى فقدت وعيها ووقعت في حوض الشلال متلقيةً ضربة قوية على رأسها.

Twitter: @ketab_n

شاء القدر في ذلك الوقت أن يصل إلى الجبل رجلٌ طاعن في السن يرافقه خادمه، ليتأمّلا الشلال. فلفت جسد الآنسة آي الأبيض نظر الشيخ، تتقاذفه المياه في حوض الشلال. فسارع وخادمه إلى سحب آي إلى خارج الحوض وبعد أن سحباها وجدا أنها ما زالت على قيد الحياة. كانت نصف غارقة ومخدّرة، لا تشعر بالبرد ولا بالرياح، والدماء تسيل بغزارة من الجرح في رأسها.

قرّر الشيخ وخادمه إنقاذ الفتاة الجميلة، فبدآ العمل على ذلك بنشاط. أشعلا النار ودفّآ ثيابها وألبساها، وفي أقل من عشرين دقيقة فتحت عينيها وأصبحت قادرة على الكلام. عند رؤيتها على هذه الحال، سألها العجوز: «هل وجدناك هنا نصف ميتة عن طريق الصدفة، أم أنك تعمّدتِ قتل نفسك؟».

فأجابت الفتاة: «كلا، لم أتعمّد قتل نفسي، بل جئت إلى هنا أصلي من أجل أن يستعيد والدي نظره، وهذه هو اليوم المئة الذي آتي فيه إلى هنا كي أصلي، وسأحضر غداً وفي كل يوم، فالاستسلام يخالف تعاليم بوذا». قالت الآنسة آي ذلك، ثم روت لهما قصّة فقدان بصر والدها.

Twitter: @ketab_n

فقال لها الشيخ: «إن كان للتفاني والمحبّة أجرٌ، فأجرك أيتها الشابة قد أتى. قد لا تعرفين من أكون، اسمي أيوزومي، الطبيب أيوزومي. أنا طبيب مقاطعة كيوتو، والوحيد حتى الآن الذي نال شهاداته في العلوم الطبية باللغة الهولندية. كنت في قصر ييدو وأنا الآن في طريق عودتي إلى كيوتو، لكنني سأبيت هنا اليوم لأركب السفينة إلى كيوتو غداً، وقد أتيت إلى هذا الجبل لأتأمّل هذا المنظر الخلاّب. أما الآن وقد وجدتك، وأحزنتني حالتك، فسأمضي في هذه المقاطعة أسبوعاً أو أسبوعين لأرى ما يمكنني فعله لمساعدة والدك. دعينا لا نضيّع الوقت، ارتدي ما تبقّى من ثيابك ولنذهب إلى منزلك».

سُرّت الآنسة آي أيما سرور، وشعرت أن الإله فودو قد استجاب لصلواتها أخيراً. فنزلت الجبل والفرحة تملأ قلبها، وقد نسيت تماماً ما تعرّضت له والجرح البليغ في رأسها.

عند وصولهم إلى المنزل، عاين أيوزومي الوالد المريض ووصف له أدوية كان لحسن الحظّ يحملها في حقيبته. يوماً بعد يوم، كان الطبيب والآنسة آي يعتنيان بماساكوني، وفي نهاية اليوم العاشر، شُفِيَت عينه اليسرى تماماً.

Twitter: @ketab_n

فرح ماساكوني لشفاء نظره جزئياً، وتماماً مثل ابنته اعتبر أن وصول الطبيب المشهور نابع من رحمة الإله فودو. طهّر ماساكوني جسده وروحه باتباع غذاء نباتي والاستحمام في المياه الباردة لمد عشرة أيام، وبعد ذلك صنع سيفين، سيفاً للإله فودو وسيفاً للطبيب أيوزومي. وقد اشتهر هذان السيفان على أنهما من صنع ماساكوني نصف الأعمى.

اعتبر الطبيب أنه من المؤسف أن يبقى فنانٌ موهوبٌ مثل ماساكوني وفتاة جميلة مثل آي في هذه القرية النائية في مقاطعة آوا، فأقنعهما بالذهاب معه إلى كيوتو. وهناك، أصبحت الآنسة آي وصيفة الملكة في قصر دوق كارازومارو وكانت سعادتها لا توصف.

بعد خمس سنوات، مات ماساكوني ودُفِنَ في مقبرة تريبياما عند النهاية الشرقية من كيوتو، وذلك بحسب ما قاله لي راوي القصة فوكوغا.

Twitter: @ketab_n

خليج ساغامي

إنها جزيرة هاتسوشيما. لابدّ من أن الأجانب كلهم وأن تسعة وتسعين بالمئة من اليابانيين لا يعرفون هذه الجزيرة، فهي ليست على مستوى عال من الأهمية. إلا أنها كانت منشأ قصة رومانسية صغيرة، رواها لي صديقٌ زار تلك الجزيرة قبل ست سنوات.

تقع الجزيرة على بعد سبعة أميال جنوب شرق أتامي في خليج ساغامي (مقاطعة إيزو). وكانت بعيدة عن البرّ الرئيسي ممّا جعل علاقاتها بالعالم الخارجي قليلة. ولا أتعجّب إن كان يقال إن سكان هذه جزيرة هاتسوشيما غريبي الأطوار وإنهم يفضّلون البقاء وحيدين. ولا يتخطّى عدد المنازل في هذه الجزيرة المئتين اليوم ولا يتجاوز عدد سكانها الألف. من المؤكّد أن الإنتاج الرئيسي في هذه الجزيرة هو الأسماك، لكنها مشهورة أيضًا بأزهار النرجس، ولا تشهد هذه الجزيرة الكثير من التجارة فما يشتريه الناس أو يبيعونه في البرّ الرئيسي ينقلونه في مراكب

Twitter: @ketab_n

الصيد. وفي ما يخصّ الزواج أيضًا، نرى سكان هذه الجزيرة منغلقين على أنفسهم وهم محافظون جداً.

وكان في جزيرة هاتسوشيما أغنية صياد مشهورة، وهذه الأغنية هي أساس قصّتنا الغريبة وتقول الأغنية بما معناه:

اليوم هو العاشر من يونيو،

فلتهطل الأمطار بغزارة!

فأنا أتوق إلى رؤية حبيبتي شو،

هاي هاي يا ري كو نو سا! يا ري كو نو سا!

منذ سنوات بعيدة، عاشت على هذه الجزيرة ابنة صياد فاتنة، وبالرغم من صغر سنّها فقد فاق جمالها كل جمال. وكلّما كبرت شو زاد حسنها وجمالها، وبالرّغم من فقرها، كانت على مستوى رفيع من حسن السلوك والتهذيب. عندما بلغت شو الثامنة عشرة من عمرها، لم يبقَ شاب على الجزيرة إلا وأُغرِمَ بها، وكانوا جميعاً يريدون التقدّم للزواج منها، إلا أن أحدًا منهم لم يتجرّأ على طلب ذلك، ولا حتى عن طريق شخص ثالث كما كانت العادة في تلك الأيام.

Twitter: @ketab_n

ومن بين المعجبين بالآنسة شو، صيادٌ وسيم يبلغ من العمر عشرين عاماً وكان اسمه شينساكو. وقد فاق هذا الشاب الآخرين ذكاءً وجرأةً، وفاتح جيزوكي شقيق شو بالموضوع. لم يرَ جيزوكي أي مانع في زواج أخته من شينساكو فهو كان على علاقة جيدة به كما أن عائلتيهما ارتبطتا بصداقة قديمة. نادى جيزوكي شقيقته شو للنزول إلى الشاطئ حيث كانا جالسين، وأخبرها أن شينساكو قد طلب يدها للزواج، وأنه يعتبر أن هذا الزواج جيد ولو كانت أمها على قيد الحياة لكانت وافقت عليه هي أيضاً. وقال لها: «يجب أن تتزوجي قريباً، فأنت في الثامنة عشرة من العمر ونحن لا نريد عوانس في هاتسوشيما، ولا فتيات من البرّ الرئيسي ليتزوّجن من الشباب في الجزيرة».

أجابت شو: «اهدأ يا أخي العزيز! لست بحاجة إلى هذه العظة عن العنوسة، فأنا لا أنوي البقاء عزباء، وأفضّل الزواج من شينساكو على الزواج من أي شخص آخر، فلا تقلق يا أخي. كل ما عليك فعله هو تحديد يوم الزفاف».

لا حاجة للقول إن الفرحة تملّكت جيزوكي وملأت قلب شينساكو، فعيّنا موعد الزواج بعد أيام ثلاثة.

Twitter: @ketab_n

حالما عادت قوارب الصيد إلى القرية، انتشرت الأخبار وكم يصعب وصف شعور الشبان، فقد كان كل واحد منهم يعيش على أمل الزواج من الفاتنة شو، ويحيا فرحة الوقوع في غرامها. إلا أن شينساكو كان أفضلهم، وقد ضرب بآمالهم عرض الحائط، فشو لن تكون لأي منهم، وليس بالغريب أن أصبح شينساكو محط كراهيتهم! فراحوا يتساءلون عمّا يمكن فعله، ناسين أن شو لن تتزوّج شو في النهاية سوى من رجل واحد.

في ذلك اليوم، لم يعيروا الصيد أي انتباه، تركوا قواربهم على الشاطئ وراح كلّ منهم يفكّر بطريقة يتزوّج فيها الآنسة شو. فأخبروا شينساكو أنهم سيحولون دون حصول هذا الزواج، ووقعت مشكلات كثيرة على ذلك الشاطئ الهادئ الذي لم يشهد يوماً أي اضطراب. في النهاية، تشاور جيزوكي وشقيقته وشينساكو وقرّروا إلغاء الزواج من أجل الحفاظ على السلام على تلك الجزيرة. وقد تعاهدت شو وحبيبها على ألا يتزوّج أحدهما من أي شخص آخر مهما كانت الظروف.

لكن هذه التضحية لم تؤل إلى نتيجة، فقد كان العازبون جميعاً أي أكثر من ثلاثين شاباً يريدون الزواج من الآنسة شو. فكانوا يتعاركون كلّ يوم مما قلب الجزيرة رأساً على عقب. مسكينة

Twitter: @ketab_n

الآنسة شو! ما عساها تفعل؟ أما كانت التضحية بسعادتها وبسعادة شينساكو كافية لإعادة السلام إلى الجزيرة؟ لم يبقَ سوى حل واحد أمام شو وكونها فتاة يابانية لم تتردّد عن فعل ذلك. كتبت رسالتَيْ وداع، واحدة لشقيقها جيزوكي وأخرى لحبيبها شينساكو. وقالت في الرسالة: «لم تشهد جزيرة هاتسوشيما أي مشكلة إلى حين ولادتي. فعلى مرّ ثلاثمئة سنة، عاش سكان هذه الجزيرة حياة هانئة سعيدة بالرغم من فقرهم المدقع. واحسرتاه! ما عاد الأمر على هذه الحال وكلّ ذلك بسببي. الوداع! يجب أن أموت. أخبرا السكان أنني متّ لتعود إليهم عقولهم، لأنهم قد فقدوا الصواب بسببي. الوداع!».

تركت الآنسة شو الرسالتين قرب مخدع جيزوكي، وتسلّلت خارج المنزل، وقد كانت ليلة العاشر من يونيو ممطرة عاصفة، فذهبت شو إلى شاطئ صخري على مقربة من كوخها وألقت بنفسها في البحر بعد أن وضعت الحجارة في كمّيها كي تغرق ولا تعوم أبداً.

في صباح اليوم التالي، وجد جيزوكي الرسالتين، فعلم ما حصل وترك المنزل بحثاً عن شينساكو. قرأ الشقيق والحبيب الرسالتين معاً، وقد تملّكهما الحزن الذي أرخى بظلاله على سكّان

Twitter: @ketab_n

الجزيرة كلّهم. بدأ البحث عن شو ولم يمضِ الكثير من الوقت حتى عُثِرَ على زوج حذائها على الصخور بالقرب من كوخها. علم جيزوكي أنها رمت بنفسها في البحر، فغطس مع شينساكو إلى قعر البحر ليجدا جثّتها هامدة. فسحباها إلى الشاطئ ودفناها خلف الصخور التي وقفت عليها للمرّة الأخيرة.

منذ ذلك الحين، لم تعرف عينا شينساكو النوم، وقد أصبح المسكين مشتّت الأفكار. وضع رسالة شو وحذاءها بالقرب من سريره وأحاطهما بالأزهار، وأمضى حياته يزيّن قبرها ويبكي عليه.

وذات ليلة، قرّر شينساكو الانتحار علّ روحه تلتقي روح شو وتتّحدان من جديد، فقصد قبرها يودّعها. وصل شينساكو إلى القبر فتراءى له طيف شو، فناداها ثلاث أو أربع مرات، ثم أسرع إليها فاتحاً ذراعيه. استيقظ جيزوكي على صوت شينساكو إذ أن قبر شو لا يبعد كثيراً عن المنزل. فخرج ليجد شينساكو يعانق الحجر الموضوع على قبر شو.

أخبر شينساكو جيزوكي أنه رأى طيف الآنسة شو وأنه كان يريد الانتحار لكنه عدل عن قراره.

Twitter: @ketab_n

قال جيزوكي: «لا تفعل ذلك، بل كرّس حياتك لبناء مزار عن روح شو وأنا سأساعدك. ستلتقيها عندما يحين أجلك، لكن الآن أفرح روحها بألا تتزوّج من غيرها».

قطع شينساكو وعداً على جيزوكي. شعر شبان الجزيرة بالأسى الشديد على حال شينساكو وندموا على الأنانية التي تصرّفوا بها، فقرّروا التكفير عن ذنبهم عبر مساعدة شينساكو في بناء المزار للآنسة شو. أُطلِقَ على المزار اسم مزار الآنسة شو من هاتسوشيما وصارت تُقام الصلوات من أجل راحة نفسها في العاشر من شهر يونيو من كل عام. والغريب أنه في هذا اليوم من كل سنة، كانت تمطر ويقول الصيادون إن طيف الآنسة شو يظهر في المطر. من هنا كانت الأغنية:

اليوم هو العاشر من يونيو،

فلتهطل الأمطار بغزارة! فأنا أتوق إلى رؤية حبيبتي شو،

هاي هاي يا ري كو نو سا! يا ري كو نو سا!

وقد قيل لي إن هذا المزار ما زال موجوداً حتى اليوم.

Twitter: @ketab_n

ملك توريجيما

عاش في قديم الزمان سيد إقطاعي اسمه تاراو. وكان قصره في أوزاكي، في مقاطعة أوسومي، وكان من بين حاشيته خادم مفضّل ومخلص اسمه كومي شوزن. عمل هذا وكيلاً للسيد تاراو فترةً طويلة وفي الواقع كان يتولّى جميع أعماله.

وذات يوم أُرسل كومي إلى العاصمة كيوتو للقيام ببعض الأعمال لسيّده. وفي هذا الوقت، وقع نزاعٌ بين الإقطاعي تاراو والإقطاعي توشيرو من مقاطعة هيوغا حول بعض المسائل الحدوديّة. وبحكم غيابه، لم يتمكّن كومي من مساعدة سيّده المعروف بقلّة صبره، فتعارك الفريقان عند قدم جبل كيتاماتا.

قُتل السيّد تاراو من مقاطعة أوسومي مع عدد كبير من رجاله الذين أُلحِقت بهم هزيمة ما بعدها هزيمة. أما النّاجون، فعادوا إلى قصر سيّدهم في أوزاكي، لكن الأعداء لحقوا بهم وهزموهم مرّة أخرى واستولوا على القصر.

Twitter: @ketab_n

أُرسِلَ بعض الأشخاص ليجيئوا بكومي، لكن الوكيل قرّر القيام بعمل مشرّف وهو جمع ما تبقّى من المحاربين كي يقاتلوا مجددًا لأجل روح سيّدهم. ولكن لسوء الحظ، لم يلبِّ تلك الدعوة سوى خمسين رجلاً فقط. اختبأ هؤلاء الرجال مع كومي وراء الجبال بانتظار تدريب المزيد منهم. ثم وجدهم أحد جواسيس توشيرو وقبض عليهم جميعاً وأودعوا السجن، ولم ينجُ منهم سوى كومي.

كان كومي ملاحقًا فقرّر أن يختبئ نهاراً وفي الليل، توجّه إلى البحر. وبعد ثلاثة أيام، وصل إلى هيزاكي وكان قد ابتاع ما يقدر على حمله من المؤن واختبأ بانتظار فرصة تمكّنه من الاستيلاء على قارب في الليل، علّه يربك بذلك ملاحقيه.

لم يكن كومي بحّاراً، فهو لم يقد قارباً يوماً بل اكتفى بأن يكون راكباً في بعض المرّات. لم يجد كومي صعوبةً في العثور على قارب. دفعه إلى الماء وتركه يطفو غير عالم باستخدام المجذاف وغير مدرك بمسائل القوارب. ومن حسن الحظ أن أرض هيزاكي تشكّل رأساً عند الساحل الجنوب الشرقي قبالة المحيط الهادئ، فلم يجد كومي صعوبة في الابتعاد تدفعه الرياح والتيارات المائية، بالإضافة إلى التيّار القوّي في تلك البقعة، الذي كان يتحرّك جنوباً نحو جزر اللوكو.

Twitter: @ketab_n

لم يكن كومي مبالياً بالمكان الذي سيقصده، وحتى لو كان مبالياً فما كان ليعرف الاتجاه على الرغم أنه كان ضليعًا بهذه المسألة إذ أنه سرعان ما وجد نفسه بمنأى عن الأنظار وضاع في البحر. كلّ ما كان يعرفه هو أن الشمس تشرق من مكان ما بعده أرض وأن الصين تكمن في اتجاه الشروق وأنه ثمة جزر باتجاه الجنوب محسوبة على الهمجيين، النامبانجين (من سكان الجنوب). كانت المياه تجرف كومي غير دار بالاتجاه الذي يسلكه، وكان متربصًا على قاعدة المركب لا يقتصد في استخدام مؤنه؛ وفي طبيعة الحال، في نهاية اليوم الثاني، نفدت منه المياه، وقد عانى جرّاء ذلك أيما معاناة.

في صباح اليوم الخامس، كان كومي نصف نائم على قاعدة المركب. فجأةً، شعر أنه ارتطم بشيء ما.

قال لنفسه: «ما هذا الذي اصطدمتُ به؟». ثم نهض ووجد أن القارب قد اصطدم بجزيرة صخريّة. حاول أن يسحب القارب نحو الأعلى وأن يدفعه نحو الشاطئ بقدر المستطاع. وبات العثور على الماء ليروي عطشه أول اهتماماته. وبينما كان يطوف في موازاة الشاطئ الصخريّ يفتّش عن جدول ماء، عرف أنه من المستحيل أن تكون الجزيرة غير مسكونة فقد كانت

Twitter: @ketab_n

عشرات الآلاف من الطيور البحريّة تحطّ على الصخور وتتغذّى من البحر وتحوم على سطح الماء، وبعضها الآخر كان يرقد على البيض. علم كومي أنه من المستحيل أن يموت جوعًا بينما الطيور تتناسل، ورأى أيضًا أن الأسماك متواجدة بوفرة على الرغم من أن طيور الأطيش تستمتع وتلتهم سمك الإيواشي (نوع من السردين). حوّلت هذه الأخيرة سطح الماء الهادئ إلى رغوة هرباً من الأسماك الكبيرة التي كانت تلاحقها من الأسفل. يتدفّق فوجٌ من السمك الطيّار نحو الشاطئ تمامًا وتلاحقه أسماك البكورة الرائعة، وهذا ما يبيّن بوضوح عدم زيارة الصيّادين لهذا المكان. يتواجد حيوان المحار الصدفيّ بوفرة في مجمّعات المرجان، وفي وسطها، ينتشر بلح البحر اللؤلؤي بشكل كثيف، وعرف كومي هذا النوع جيّدًا في مدينته.

خلت الجزيرة أو الشاطئ البحري من الرمال. وبدا أن كلّ شيء مصنوعاً من المرجان باستثناء تلك المادة السميكة القانية الحمرة على رأس كلّ شيء، حيث نمت أشجارٌ قصيرة تحمل الكثير من الفاكهة، التي أحبها كومي كثيرًا. لم تكن هناك صعوبةٌ من ايجاد المياه: كانت تيّارات متعددة تتدفق على الشاطئ نابعة من الأشجار الكثيفة.

Twitter: @ketab_n

عاد كومي إلى قاربه ليتأكد من أنه سليمٌ وكان قد وجد خليجاً أفضل فنقله إلى هناك. ثم بعد أن أكل بعض الفاكهة والمحار والطحلب البحري، استسلم للنوم وأخذ يفكّر بسيّده الميت وراح يتساءل كيف سينتقم من الدّيميو توشيرو لأجله.

عند حلول الصباح، لم يندهش كومي برؤية حوالي ثمانية أو تسعة أشكال بشريّة لأنه للوهلة الأولى ظنّ أنه في حلم، ولكن حين اتّضحت الرؤية، اكتشف أن تلك المخلوقات هي سلاحفٌ، فالتقط واحدة منها على الرغم أن الوقت للوصول إلى الشاطئ لن يطول، ولكنه بعد ذلك تذكّر أنه لديه الكثير من الطعام وفضّل عدم القضاء على حياة ذلك الحيوان الضعيف وأطلق سراحه. ثم قال في نفسه، لعلّ هذا التصرّف اللطيف الذي قمت به مع السلحفاة، تمامًا كما فعل الصيّاد أوراشيما، قد ينقذني. في الواقع، قد تكون تلك السلاحف سعاةً أو أتباعًا لقصر ملك البحر.

مع ذلك، لم يشعر بالخطر في ذلك الوقت، إذ توفّر الطعام وماء الشرب، صحيحٌ أن الطيور كانت تزعجه إلى حدّ ما، لأنها لم تكن تتصرّف كما كان يتوقع. كانت تبدو غريبةً جدًّا في طريقة رقودها على مجثمها وفي نظراتها إليه. لم يعجبه ذلك فصار يلقي

Twitter: @ketab_n

عليها الأحجار في معظم الأوقات، لكن الطيور لم تتأثر وبدت نظراتها أكثر صرامة.

على الرغم من أن كومي لم يكن بحّارًا، غير أنه كان سبّاحًا ماهرًا تمامًا كمعظم اليابانيين الذي يعيشون في المقاطعات البحريّة. كان يستطيع إلى حدٍّ بعيد أن يغطس بشكل متوسّط أي بعمق يساوي ثلاث قامات يابانيّة، أي خمسة عشر قدمًا. بالتالي، أمضى وقته يتدرّب على الغطس ويبحث عن المحار، وسرعان ما وجد كميّات هائلة من محار اللؤلؤ، التي تحتوي على لآلئ رائعة الجمال؛ جمع كومي زهاء خمسين أو ستّين لؤلؤة من كافة الأحجام، وقطع كمًّا من معطفه وصنع كيسًا وعقد العزم على ملئه. وفي يوم من الأيام بينما يغطس لاصطياد اللؤلؤ والمحار، اكتشف أنه بالنظر إلى الثقوب في الصخور، تحت التيّار المنخفض، يستطيع إيجاد لآلئ تتساقط من الأصداف الفاسدة؛ كانت مصابة بمرض كالحصباء فأمسك بكميّة قليلة وأخرجها من فجوتها. وبالتأكيد لم يكن لونها واضحًا لكن كومي عرفها من شكلها الدائري ومن الرمال أو التراب الملتصق بها. على هذا النحو، أكمل عمله بطاقة متجددة، آملاً أن يجني مالاً كافيًا يؤهله الانتقام لسيّده.

Twitter: @ketab_n

وذات يوم، وبعد مرور ستة أسابيع تقريبًا على وجوده في الجزيرة، رأى مركبًا في البعيد. أخذ يراقبه بحذر يومًا بعد يوم؛ لكن لم يبد أنه يقترب باتجاهه، فاستنتج أنه قارب صيد متمركز هناك لأنه كان هناك من النسيم ما يكفي لنقله بعيداً من موضعه.

قال كومي: «من المؤكّد أن هناك أرضًا في مكان ما وراء القارب: فبقاء القارب في مكانه زهاء نصف نهار يؤكّد على ذلك. سوف أبدأ بحملة استكشاف في الغد، وسوف يسهل عليّ ذلك لأنني بت قادراً على أن أجّذف وأن أوجّه قاربي. لا أتوقع أن أجد أحدًا من سكان بلدي، ولكنني قد أجد صينيين محبّين وإن التقيت بالهمجيين الجنوبيين، فلا يجب أن أخشاهم لأنني أحمل سيفًا يابانيًا».

في صباح اليوم التالي، زوّد كومي مركبه بالفاكهة والماء والمحار والبيض، ثم ربط كيس اللآلئ حول خصره ووجّه قاربه باتجاه الجنوب الغربي. لم تكن هناك رياحٌ وأخذ القارب يمضي ببطء، ولكن كومي ثابر طوال الليل على إدارة دفّة المركب مع الأخذ بعين الاعتبار خبرته القليلة في الإبحار. لم يجرؤ على النوم خوفًا من أن يضيّع اتجاه العودة. بالتالي، حين أشرقت الشمس

Twitter: @ketab_n

ودخلت عبر فتحة في مركبه، وجد نفسه على مسافة لا تبعد سوى أربعة أميال عن جزيرة تقع مباشرةً أمامه. أُعجب كومي حقاً بنجاحه في الإبحار، فأمسك بمجذافيه وزاد من سرعة القارب. حين وصل إلى المكان المقصود، لم يستقبل بشكل لطيف أبدًا. بل فوجئ برؤية زهاء مئة همجي يقفون على الشاطئ مع الرماح والعصي، ولكن من يكونون بالنسبة لمحارب ياباني؟(كما سألني مترجمي). بدأ خمسة عشر منهم بالقتال ولكن لم يصب كومي بأيّ خدش لأنه كان ضليعًا في الفنون الدفاعية التي اكتسبها من التدريب العسكري ومن حيل الجوجيتسو التي يعرفها.

ارتعب بقيّة الأعداء وأخذوا يفرّون. لكن كومي قبض على واحد منهم وحاول أن يسأله عن اسم تلك الجزيرة وعمن يكون سكانها. من خلال الإشارات، فسّر له الرجل أنه ياباني وليس عدوًّا بأيّ شكل من الأشكال، وأعرب له عن مشيئته بأن يصبحا صديقين كونه صار وحيدًا. تأثر الرجال ببسالة كومي وفرحوا لأنه لم يوّد استئناف العداء معهم، فغرزوا رماحهم في الرمال وتقدّموا نحو كومي الذي غمد سيفه وبدأ بفحص الرجال الذين كان قد صارعهم والبالغ عددهم خمسة وعشرين رجلاً. وقع أحد عشر رجلاً في فخّ من حيل الجوجيتسو وفارقوا

Twitter: @ketab_n

الحياة، لكن كومي مارس حيلاً أخرى وأعادهم إليها من خلال فنّ مشهور جدًّا اسمه كواتسو (التنفّس الاصطناعي) يستخدم في اليابان منذ مئات السنين وله علاقة ببعض حيل الجوجيتسو السريّة التي يقال إنها تقدر أن تقتلك – إلّا إذا وُجد شخصٌ يجيد فنّ الكواتسو، فعندئذ سوف تفارق الحياة لمدّة ساعتين أو أكثر من دون أن يخلّصك أحد. في الوقت الحاضر، بات القتل غير شرعيّ حتى لو كنت تعرف فن الكواتسو. أعاد كومي تسعةً من أعدائه إلى الحياة. أمّا هذا الأداء، فيُعتبر أعجوبة بحدّ ذاته، فأعطاه مكانةً جديرة بالاحترام. ثم توفّي رجلان وجُرح الباقون ولكن سرعان ما تعافوا.

بعد أن حلّ السلام، رافق الزعيمُ كومي إلى القرية ووجد هذا الأخير كوخًا ليسكن فيه واكتشف في الناس لطفًا وانسجامًا. بعد ذلك، تزوّج وتأقلم مع حياة الجزيرة وقرّر تعلّم اللغة التي كانت تشبه لغته كثيرًا.

كانت البطاطا وقصب السكر يشكلان الزراعة الأساسية في الجزيرة، إضافةً بالطبع إلى زراعة الأرز على التلال حيث تتوفّر المياه، لكن يبقى صيد الأسماك مصدر اهتمام الجميع. تأتي سفينةٌ شراعيّة صينيّة إلى الجزيرة أربع أو خمس مرّات في السنة وتشتري وتتبادل

Twitter: @ketab_n

البضائع مع السكان، كالأسرّة وقضبان الحديد والنسيج القطني والملح. بعد مرور ثلاثة أشهر على سكن كومي في الجزيرة، بات في مقدوره أن يتكلّم اللغة قليلًا ونجح في سرد مغامراته؛ بالإضافة إلى ذلك، فالجزيرة التي جاء منها وقد أسماها توريجيما بسبب الطيور المتواجدة هناك، هي من ناحية النتاجات البحرية أفضل بكثير من هذه الجزيرة. أيها الأصدقاء، قال لهم كومي رافقوني إلى هناك وستكتشفون ذلك. لقد رأيتم لآلئي. أنا لست غطّاسًا، فباستطاعة الغطّاسين مثلكم أن يجدوا كلّ ما يتمنّون، فبزّاق البحر وخيار البحر (الناماكو) هي من أفضل الأنواع».

قال له الرجال: «هل تعلم أن الجزيرة التي أسميتَها توري مسحورة؟ من المستحيل أن نذهب إليها فهناك طيرٌ عملاقٌ يأتي مرّتين في السنة ويقتل كلّ إنسان يتجرّأ ويطأ رجله فيها. بالتأكيد أنه لم يأتِ أثناء تواجدك وإلّا لما كنت على قيد الحياة».

أجابهم كومي: «حسنًا يا أصدقائي، أنا لا أخاف من طائر، أنتم تصرّفتم معي بلطف، وأوّد كثيرًا أن أعرّفكم على توريجيما فعلى الرغم من أنها صغيرة، لكنها تتفوّق عل جزيرتكم من ناحية منتجات البحر كلّها.سوف توافقوني الرأي حين تزورونها. من فضلكم فلترافقني مجموعةٌ منكم».

Twitter: @ketab_n

أخيرًا قبل ثلاثون رجلاً مرافقته، وهذا يعني أنهم سيملأون ثلاثة مراكب.

وفقًا لذلك، انطلقوا في الليلة التالية وبما أنهم كانوا من سكان جزيرة لوكو فهم يعرفون الطريق جيداً فوصلوا إلى شواطئ توريجيما عند شروق الشمس.

وصل قارب كومي أولاً، فترجّل وتقدّم نحو الشاطئ، وعلى الرغم من حذره من ذلك الطير الكبير الذي من المفترض أنه كان غائبًا في أثناء تواجده على الجزيرة، تفاجأ برؤية صقر عملاق أكبر منه حجمًا ينقض عليه. ولكن كون كومي ياباني الأصل، فقد قطع الوحش إلى نصفين.

منذ ذلك اليوم، أقام الصيّادون في جزيرة توريجيما التي أنتجت المزيد من اللؤلؤ والمرجان والسمك وأطلقوا على الجزيرة الأخرى اسم كومي جيما أو أحيانًا شوزن شيما(تحمل الجزيرة هذين الاسمين). علاوةً على ذلك، عُيّن كومي شوزن ملكًا على الجزيرتين، وهو لم يعد مطلقًا إلى اليابان بهدف الانتقام لسيّده تاراو. في الواقع، كان في حال أفضل من ذي قبل وعاش بسعادة عارمة في جزيرتيّ لوكو الوحشيّتين اللتين لم تخضعا بعد للسيادة الصينيّة بسبب صغر مساحتهما التي لا تلفت الأنظار.

Twitter: @ketab_n

بعد مرور خمسة عشر عامًا تقريبًا، توفيّ كومي ودُفن في كومي جيما. أخبرني الراوي أن أولئك الذين يزورون جزيرتيّ اللوكو ويمرّون بكومي جيما يرون نصبًا أُقيم لذكرى كومي شوزن.

Twitter: @ketab_n

إكسير الحياة

بين الحدود الشمال شرقية لمقاطعة توتومي والحدود الشمال غربية لمقاطعة سوروغا، يقع جبل دايموغنزان الشامخ، وهو جبلٌ وعرٌ بريٌ مكسو بأشجار الصنوبر الباسقة وأشجار الكافور وغيرها من الأشجار، ولم يكن في ذلك الجبل سوى القليل من الممرّات الوعرة. في منتصف الطريق صعوداً في الغابة، مزارٌ لإلهة الرحمة كوانون لكنه صغير جداً ولا يعيش فيه أي كاهن، كما أن بناءه مهترئ. لا أحد يعرف سبب بناء هذا المزار في مكان لا يصل إليه أحد سوى فتاة وحيدة ووالديها اعتادا الذهاب إلى ذلك المزار لسبب خاص بهم.

في أحد الأيام في العام 1107 م كانت الفتاة تصلّي من أجل شفاء أمها. كان اسمها أوكوريها، تعيش في تاشيرو عند أسفل الجبل، ولها جمالٌ فاتنٌ أخّاذٌ، وهي ابنة ساموراي بارز محبوب من الجميع. صفّقت أوكوريها بيديها ثلاث مرّات وسط هيبة الصمت، وهي تصلّي أمام الإلهة كوانون، فردّد الصدى صوت

Twitter: @ketab_n

تصفيقها في أنحاء الجبل. أنهت أوكوريها صلاتها، وفي طريق العودة، تفاجأت برجل بربريّ يمسك بذراعها.

صرخت أوكوريها طالبةً النجدة، لكنها لم تلقَ سوى صدى صوتها فاستسلمت.

فجأةً هبّت رياح باردة حملت معها أوراق الخريف وطارت بها في عواميد أشبه بالأعاصير. حاولت أوكوريها الإفلات من المعتدي عليها الذي كان يضعف كلما ضربت الرياح الباردة وجهه. لكن الوهن أصاب أوكوريها أيضاً. بعد لحظات قليلة، وقع الرجل أرضاً وغطّ في ثبات عميق كأنه ثمل، وكانت أوكوريها على وشك الوقوع هي أيضاً والغرق في النوم، فبالكاد كانت قادرة على فتح عينيها. بعد ذلك، سخن الهواء البارد وفارق النعاس أوكوريها، وحين رفعت رأسها رأت فتاةً جميلة، لا تكبرها بكثير تتقدّم نحوها. كانت الفتاة الغريبة متّشحة بالبياض وبدت كأنها تنزلق في الهواء. كان وجهها أبيض كالثلج الذي يتوّج قمّة جبل دايموغنزان، وحاجباها مقوّسين مثل حاجبَيْ بوذا، وفمها أشبه بالأزهار، وبصوت مخملي عذب، نادت أوكوريها وقالت لها: «لا تجفلي ولا تذعري يا ابنتي. رأيتُ أنكِ في خطر وأتيتُ لإنقاذك فأنزلت النوم على ذلك المخلوق البري،

Twitter: @ketab_n

وارسلت النسمات الساخنة لتحول دون وقوعك. لا تخشي على الرجل من الموت، فباستطاعتي إعادة إحيائه إن أردت أو تركه على حاله. ما اسمك أنتِ؟».

جثت أوكوريها على ركبتيها تعبّر عن امتنانها ثم وقفت وقالت: «اسمي أوكوريها، ووالدي هو الساموراي الذي يملك أكبر جزء من قرية تاشيرو عند أسفل الجبل، أما والدتي فمريضة وقد جئت إلى مزار الإلهة كوانون أصلّي من أجل شفائها. إنها المرّة الخامسة التي آتي فيها إلى هنا، لكنني لم ألتقِ أحداً قطّ إلى أن هاجمني هذا الرجل المروّع اليوم. أنا مدينة لك بخلاصي أيتها السيدة المقدّسة، وقلبي مفعم بالشكر والامتنان. أتمنى أن أتمكن من العودة للصلاة في هذا المزار مجدداً، فقد اعتاد والداي الصلاة للإلهة كوانون ولملاك هذا الجبل هنا من قبل أن أولد. لم يكن لهما من أولاد وقد جئت استجابةً لصلواتهما. صحيحٌ أنه يجب أن آتي إلى هنا للصلاة من أجل شفاء والدتي لكن هذا الرجل المروّع أرعبني لدرجة أنني أخشى العودة وحدي إلى هذا الجبل».

ابتسمت إلهة الجبل التي أنقذت حياة أوكوريها وقالت: «لا تخافي يا ابنتي الجميلة. تعالي إلى هذا الجبل متى أردتِ وسأكون لك حاميةً. فالأولاد الذين يكرّسون أنفسهم للصلاة من أجل

Twitter: @ketab_n

أهلهم يستحقّون الأفضل وهم من الأتقياء. إن كنت تريدين بعث السرور في قلبي، تعالي غداً لنتحدّث قليلاً، وأحضري لي بعض الأزهار من الحقول فليس باستطاعتي الاقتراب من الأرض إلى هذا الحدّ لأقطفها بنفسي، وهذه الأزهار هي المفضّلة لدي برائحتها الذكيّة. أما الآن فمن الأفضل أن تعودي أدراجك، وحالما تصلين سأعيد الحياة لهذا الرجل وأطلق سراحه. لا أظن أنه سيزعجك مجدداً».

انحنت أوكوريها أمام إلهة الجبل شاكرةً مودّعةً وقالت لها: «سأعود غداً».

لم يفارق وجه إلهة الجبل خيال أوكوريها طيلة الليل، ومع بزوغ الفجر، خرجت إلى الحقول تقطف الأزهار، ثم حملتها إلى المزار على الجبل حيث وجدت الإلهة بانتظارها.

تحدّثتا في مواضيع كثيرة، واسمتعتا برفقة بعضهما بعض، ثم تواعدتا على اللقاء ثانية. فأصبحت أوكوريها تصعد إلى الجبل كلّما سنحت لها الفرصة، واستمرّ الأمر على هذا المنوال زهاء السنة، عندما أخذت أوكوريها الأزهار للإلهة كما جرت بها العادة، لكنها هذه المرّة كانت حزينة فشعرت الإلهة بالحزن هي أيضاً.

Twitter: @ketab_n

سألت الإلهةُ أوكوريها: «لِمَ أنتِ حزينة؟».

فأجابت أوكوريها: «هذا صحيح قداستك، أنا حزينة لأن هذا اليوم قد يكون اليوم الأخير الذي آتي فيه لأراك. أنا في السابعة عشرة من العمر ويعتقد والديّ أنني كبيرة كفاية للزواج، فمنذ اثنتي عشرة سنة، ارتأى والدي أن أتزوّج عندما أكبر من ابن صديقه توكو من إيواساكيمورا. والآن وقد كبرت فلابدّ لي من الزواج، وقد عُيِّنَ الموعد بعد ثلاثة أيام. بعد ذلك سيكون عليّ أن ألازم المنزل أخدم زوجي، وأخشى ألا أتمكن من رؤيتك مجدداً. هذا هو السبب وراء حزني». كانت أوكوريها تتكلّم وتذرف الدموع على خدّيها، لكن الإلهة هدّأت من روعها وقالت لها: «لا تحزني يا ابنتي، بل على العكس، أنت على أبواب أجمل مرحلة في حياتك وهي الزواج. فإن لم يتزوّج الناس وينجبوا الأطفال ليرثوا أرواحاً جديدة، فقد لا تستمرّ الحياة. عودي أدراجك يا ابنتي، ودعي الفرحة تسكن قلبك، تزوّجي وأنجبي الكثير من الأطفال، فالقيام بواجبك تجاه العالم والآلهة سيزيدك سعادة. قبل أن أودّعك سأعطيك إكسير الشباب الدائم، كوني حذرة في طريق العودة إلى المنزل، وعندما تتزوجين أعطي زوجك القليل منه. وسيبقيكما هذا الإكسير كما أنتما فلن تكبرا

Twitter: @ketab_n

يوماً وستعيشان قروناً. وبفضل هذا الاكسير ستعيشان بسعادة ما بعدها سعادة. أما الآن فأستودعك يا عزيزتي!».

عادت الدّموع إلى عينَيْ أوكوريها وهي تودّع حاميتها، لكنها استجمعت قواها، وانحنت للمرّة الأخيرة وعادت أدراجها إلى المنزل، ذارفةً الدموع في طريقها. بعد ثلاثة أيام، تزوّجت أوكوريها، وبحسب التقويم، كان ذلك اليوم يوم حظ، وفي السنة نفسها أي في العام 1108 م. تربّع الإمبراطور توبا على العرش.

في أحد الأيام، كانت أوكوريها وزوجها يحتفلان بزواجهما في نزهة في الطبيعة، فأعطت زوجها بعضاً من إكسير الشباب الدائم وتناولت هي بعضه الآخر تماماً كما طلبت منها الإلهة. كانا جالسَيْن على بقعة يغطّيها العشب الأخضر، ونبتت عليها أزهار البنفسج الذكيّة الشذا، وتحت أرجلهما انساب نهرٌ رقراق. فجأةً، وجدا أوراق أزهار الكرز المتفتّحة تتساقط من حولهما، إلا أن ما من شجرة كرز كانت على مقربة منهما، فارتبكا في البداية لكنهما سرعان ما رأيا غيمة بيضاء في السماء الزرقاء تطوف فوق رأسيهما، ثم رأيا إلهة جبل دايموغنزان جالسةً على الغيمة. عرفت أوكوريها

Twitter: @ketab_n

الإلهة وأشارت إليها تدلّ زوجها إلى حاميتهما. استمرّت الغيمة البيضاء تسير في السماء حتى وصلت إلى أعلى الجبل حيث استقرّت حتى أرخى الليل بسدوله.

لم تتقدّم أوكوريها وزوجها في السنّ أبداً، بل عاشا مئات السنين خالدَيْن في جبل دايموغنزان.

Twitter: @ketab_n

كهف الناسك

قبل زمن طويل، عاش في قرية نوموغي في مقاطعة هيدا، مزارعٌ طاعن في السن اسمه جيناي وزوجته. وكان لهما ابنة اسمها يوكا يحبّانها حباً جماً. كانت يوكا في السابعة من العمر، وكان جمالها ما بعده جمال. لكن شاء سوء طالعها أن تمرض في رجلها فتدهورت حالتها من سيئ إلى أسوأ وأصبحت مشوّهة. لم تكن الآنسة يوكا تتألّم لكن لازم القلق والديها، ولم يحسّن أي طبيب أو دواء أو نصيحة حالة رِجْلِ يوكا.

وبحسب والديها: «سيصيبها الحزن في المستقبل! حتى إنه قد أصابها من الآن فهي تلعب مع الأولاد الآخرين ورِجْلها مشوّهة».

بذلت يوكا ووالداها ما في وسعهما من دون جدوى. في كلّ الأحوال، لم تكن يوكا الفتاة الوحيدة المشوّهة في القرية. فأحد أصدقاء يوكا، تاراكو قد وُلِدَ كفيفاً، وصديق آخر لها، رينكيشي قد وُلِدَ أصماً يضع أذنه على جرس المعبد حين يدقّه

Twitter: @ketab_n

الأولاد الآخرون من دون أن يسمع له صوتاً بل يشعر باهتزازه. لم يكن هذان الولدان أفضل حالاً من يوكا، فكان ذلك بمثابة عزاء لوالديها، وكان الأولاد يلعبون والراحة تملأ قلوبهم.

تقع قرية نوموغي عند قدم جبل نوريكوراداكي العظيم، الذي يرتفع عشرة آلاف وخمسمئة قدم، وهو جبلٌ بري كان في الأصل بركاناً.

اعتاد معظم أولاد نوموغي على الذهاب يومياً إلى اللعب على منحدر سدّ عتيق مغطّى بالأعشاب عند طرف القرية، حيث يرمون الحجارة في الماء، ويصطادون، ويركبون القوارب، ويقطفون الأزهار. كان السدّ أشبه بملعب للأولاد، يقصدونه من الصباح حتى المساء، آخذين معهم الأرزّ ليأكلون.

وذات يوم، كان الأولاد يلعبون عند السدّ، فطالعهم رجلٌ عجوزٌ ملتح بلحية بيضاء طويلة. كان يقترب منهم من جهة الجبل، فتوقّف الأولاد عن اللعب وراحوا ينظرون إليه. اقترب ووقف بينهم وقد وجده الأولاد لطيفاً عندما ربّت على رؤوسهم. نظر الرجل إلى رِجْلِ يوكا وقال: «كيف حصل ذلك؟ أما حاول والداك أن يعالجا رِجْلك؟». أجابته يوكا الصغيرة بأنهما حاولا من دون جدوى. طلب العجوز من يوكا أن تستلقي على العشب

Twitter: @ketab_n

وبدأ يدلّك رِجلها ويفركها بدواء أحمر كان يحمله في حقيبته، وبعد أن انتهى منها، فعل الأمر نفسه مع تاراكو الكفيف، ورينكيشي الأصمّ.

ثم قال: «يا أولادي، أنتم تحبّون أباءكم وأمهاتكم، وسيُسرّوا كثيراً بشفائكم من سقمكم. أنتم لم تُشفَوْا بعد، لكنكم ستُشفَوْن إن نفّذتم ما أقوله لكم قبل مضي ثلاثة أو أربعة أيام. لا تخبروا أحداً أنكم رأيتموني إلى أن أسمح لكم بذلك، بعد أن تُشفَوْا. غداً أراكم عند الصخرة المسطّحة تحت الكهف عند جبل نوريكوراداكي. أنتم تعرفون المكان جيداً. إلى اللقاء في الغد، وإن نفّذتم ما أقوله لكم، فسأعلمكم في الغد القيام ببعض الخدع الظريفة». وبعد ذلك عاد من حيث أتى.

أكمل الأولاد اللعب وهم يفكرون بمدى لطف هذا الرجل، والغريب هو أن يوكا شعرت بتحسّن في رِجلِها في طريق العودة إلى المنزل.

لا حاجة للانتباه كثيراً للأولاد اليابانيين، فهم مهذّبون جداً وحسنو السلوك، لا بل إنهم راشدون صغار في الواقع. وصلوا إلى المنزل، تناولوا عشاءهم ثم أوَوْا إلى أسرتهم غير آبهين بألعاب النهار أو بالرجل الغريب.

Twitter: @ketab_n

في اليوم التالي، توجّهوا إلى الصخرة المسطّحة، لكنها كانت مبلّلة فتأخّروا بالبدء باللعب، لكنهم وجدوا الشيخ، وبالرغم من أنه لم يملك الوقت الكافي للعب معهم وتعليمهم الخدع التي وعدهم بها، إلا أنه اعتنى برِجل يوكا والأصمّ والكفيف.

وقال لهم: «اذهبوا إلى المنزل اليوم وعودوا غداً. حالما تصلون إلى المنزل، ستُشفى رِجل يوكا وسيعود النظر إلى عينَيْ تاراكو والسمع إلى أذنَيْ رينكيشي، وأنا واثق من أن أهلكم وأصدقاءكم سيُسرّون كثيراً. غداً، إن جرت الأمور على ما يرام، يجب أن تأتوا باكراً لنلعب ونستمتع معاً».

ما كانوا قد وصلوا إلى المنزل بعد عندما بدأت الأمور تتحسّن تماماً كما قال الشيخ. شُفِيَ الأولاد الثلاثة، وتملّكت الفرحة أهل القرية وآباء الأولاد وأمهاتهم، لكنهم كانوا محتارين لا يعرفون من قد يكون هذا الساحر.

فقال أحدهم: «إن عاد إلى الجبل، كما قال الأولاد، فلابدّ من أنه يعيش في الكهف». وقال آخرٌ: «لابدّ من أنه ناسك». وأضاف ثالث: «يقال إن الكاهن المشهور، كوكاي شونان، الذي أسّس المعبد المقدّس على جبل كوياسان في مقاطعة كي، كان قادراً على شفاء الأولاد بهذه الطريقة العجائبية». مع كلّ

Twitter: @ketab_n

هذه التخمينات والقيل والقال، لم يتمكّن أحد من شرح إعادة النظر إلى عينَيْ ولد كفيف منذ الولادة. فاقترح أحدهم أن يتبع شخصان أو ثلاثة الأولاد سراً في اليوم التالي، فيختبئون ويرون ما يجري. فوافق الجميع على هذه الخطة.

في الصباح، ذهب زهاء ثلاثين ولداً للعب، غير دارين بالرجلين اللذين يتبعانهم.

وصل الأولاد إلى الصخرة المسطّحة التي يقال إنها بمسحة ستة أقدام بثلاثة أقدام، فوجدوا الشيخ جالساً على طرفها. أمّا الرجلان اللذان تبعا الأولاد فاختبآ خلف الشجيرات.

رأيا الرجل يقف ويتوجّه نحو الأولاد يسألهم عن حالهم، وإن كان آباءهم وأمهاتهم قد سُرّوا بشفائهم. قد يكون تاراكو أكثر الأولاد الثلاثة سعادة، فهو لم يرَ العالم من قبل ولا رأى والديه.

قال الشيخ: «الآن وقد جئتم إليّ يا أولادي، سأسلّيكم جداً. أمسك الشيخ أغصاناً يابسة ثم نفخ عليها فزهّرت كرزاً وخوخاً ومشمشاً وأعطاها للفتيات. ثم أمسك حجراً ورماه في الجوّ فتحوّل إلى حمامة، وحجراً آخر تحوّل إلى صقر أو بالأحرى إلى أي طير كان الصبيان يختارونه.

Twitter: @ketab_n

قال الشيخ: «سأريكم الآن بعض الحيوانات المضحكة، ثم أنشد أغنية غامضة فظهرت قردة وأخذت تقفز على الصخرة المسطّحة وتتصارع مع بعضها بعض. راح الأولاد يصفّقون بسرور، فتعجّب أحد الرجلين المختبئين وقال: «من يكون هذا الساحر؟ لابدّ من أنه ساحر ليتمكن من فعل هذه الاشياء!».

سمع الشيخ المحترم كلام الرجل، فنظر حوله بحذر وقال: «أيها الأولاد، لن أقوم بالمزيد من الخدع اليوم، لا مزيد من السحر، سأعود إلى المنزل ومن الأفضل أن تعودوا إلى منازلكم أنتم أيضاً، الوداع».

ثم انحنى الرجل أمام الأولاد، وقصد طريق الجبل متوجّهاً نحو الكهف.

خرج الرجلان من مخبئهما، وحاولا أن يتبعاه مع الأولاد. وكان الشيخ بالرغم من إيغاله في السنّ، اكثر رشاقةً منهما في التحرّك على الصخور، إلا أنهما تمكنا من رؤيته يدخل الكهف. بعد بضع دقائق، وصلوا إلى مدخل الكهف، وانحنوا أمامه. كان مدخله مُحاطاً بالأزهار الذكية الشذا، لكنهما لم يجرؤا على الدخول إليه نظراً للظلمة التي كانت تعمّه.

Twitter: @ketab_n

فجأةً، أشارت يوكا إلى الأعلى وصرخت إنه الجدّ الشيخ! فنظر الجميع إلى الأعلى ليروا الشيخ جالساً على غيمة فوق قمة الجبل.

فقال أحد الرجلين: «اتضحت الأمور الآن! إنه ناسك كهف جبل نوريكوراداكي الشهير». انحنى الجميع ثم عادوا إلى منازلهم وأخبروا أهل القرية بما رأوه.

جُمِعَت التبرّعات، وبُنِيَ معبدٌ داخل الكهف أُطلِق عليه اسم معبد سيندوكوتسو أي معبد الناسك.

Twitter: @ketab_n

كاميليا يوسوجي

في عهد الإمبراطور سانجو بدأت مرحلة سيئة غريبة. في العام 1013 م. تربّع سانجو على العرش، وكانت تلك السنة الأولى في عصر شوا. ظهر الطاعون، وبعد عامَيْن احترق القصر الملكي واندلعت حربٌ مع كوريا التي كانت تُعرَف في ذلك الحين بشيراغي.

في العام 1016، اندلع حريقٌ آخر في القصر الملكي، وبعد عام تنازل الإمبراطور عن العرش بسبب العمى الذي أصابه بالإضافة إلى أمور أخرى. فسلّم زمام الحكم إلى الأمير أتسوهارا الذي أصبح يُعرَف بالإمبراطور غو إيشيجو وقد تسلّم العرش في السنة الأولى من عصر كوانين أي في العام 1017 أو 1018. كان عهد الإمبراطور غو إيشيجو الذي امتدّ حوالي العشرين سنة، حتى العام 1036، أسوأ فترة في تاريخ اليابان. فكثرت الحروب واندلعت الحرائق وانتشر الطاعون وعمّت الفوضى البلاد، وحتى كيوتو لم تعرف الأمان بوجود قطّاع الطرق. في العام 1025، ظهر مرض الجدري ولم يترك قرية أو مدينة في اليابان إلا وأصابها.

Twitter: @ketab_n

وفي هذه الفترة بالتحديد بدأت قصّتنا. فبطلتنا (إن جاز القول) لا تقلّ ألوهية عن إلهة جبل فوجي العظيم، التي سمع بها العالم كلّه أو رآها مرسومة. إن بدت القصّة سخيفة فألقوا اللوم على طريقتي بروايتها (تماماً كما رُوِيَت لي) وفكّروا بجبل اليابان العظيم وبأن أي شيء يتعلّق فيه بالغ الأهمية، وتحدّوا الآخرين على إخباركم قصّة أفضل، فأنا لم أجد قصة أخرى.

مع ظهور مرض الجدري، كان في مقاطعة سوروغا قرية اسمها كاميد، وما زالت هذه القرية موجودة حتى اليوم لكن ليس لها أهمية كبيرة. عانت هذه القرية من مرض الجدري أكثر من القرى الأخرى، فما بقي إنسان فيها إلا وأُصيب بهذا المرض. إلا أن أحداً لم يتأثّر بهذا المرض أكثر من شاب في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره، واسمه يوسوجي إذ أن أمّه كانت مُصابة بالمرض ووالده متوفّ، فوقعت المسؤولية على كاهله.

حاول يوسوجي مساعدة أمّه بشتى الوسائل فما ترك دواءً ولا طبيباً لكن حالة أمّه ظلت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، حتى انقطع الأمل بشفائها. لم يبقَ أمام يوسوجي سوى اللجوء إلى الساحر والعرّاف المشهور كامو ياماكيكو.

Twitter: @ketab_n

أخبر كامو ياماكيكو يوسوجي بأن لا أمل لأمّه بالشفاء إلا بطريقة واحدة تعتمد بشكل كبير على شجاعته. قال العرّاف: «إن ذهبت إلى جدول صغير ينبع من الجهة الجنوبية الغربية من جبل فوجي، ووجدت مزاراً صغيراً لإله العمر الطويل أوكي ناغا سوكو نيو بالقرب من المنبع، فأحضر بعض الماء لأن فيه شفاء أمّك. لكنني أحذرك من أن المكان محفوف بالمخاطر والحيوانات البرية، وقد لا تتمكّن من العودة أو حتى من الوصول».

لم تهن عزيمة يوسوجي بل قرّر أن يبدأ رحلته في صباح اليوم التالي، فشكر العرّاف وعاد إلى المنزل ليستعدّ للرحلة في الصباح المبكر.

في الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي، انطلق يوسوجي.

كانت رحلة طويلة قاسية لم يعرف لها يوسوجي مثيل، لكنه أكمل طريقه بسرور وفي قلبه نيةٌ وعزم على مساعدة أمّه على الشفاء.

مع اقتراب منتصف النهار، وصل يوسوجي إلى نقطة التقاء ثلاثة طرق، فاحتار أي طريق يسلك. وفي وسط حيرته تراءى له طيف فتاة متّشحة بالبياض آتية نحوه من جهة الغابة. في

Twitter: @ketab_n

البداية شعر بميل إلى الفرار في الفرار، لكن الفتاة نادته بصوتها المخملي وقالت له: «لا تذهب. أعرف ما الذي أتى بك إلى هنا. أنت شابٌ شجاع وابنٌ مخلص. سأرشدك إلى الجدول وصدّقني، ستشفي مياهه أمك. اتبعني ولا تخف مع أن الطريق محفوف بالمخاطر.

استدارت الفتاة وتبعها يوسوجي والذهول يتملّكه.

مشى الاثنان بصمت تام مسافة أربعة أميال صعوداً وتوغلا أكثر فأكثر في الغابات الكثيفة، حتى وصلا إلى مزار صغير، في مقابله بوابتان، ومن صدع في صخرة يتدفّق جدول صاف صفاءً ما بعده صفاء.

قالت الفتاة المتّشحة بالبياض: «هذا هو الجدول الذي تبحث عنه. املأ قارورتك واشرب منه فيقيك من الإصابة بالطاعون. أسرع قبل أن يتأخّر الوقت فتصعب عليك العودة ليلاً. يجب أن أعيدك إلى المكان الذي التقينا فيه».

نفّذ يوسوجي ما طُلِبَ منه، شرب من الماء ثم ملأ القارورة حتى الشفة.

Twitter: @ketab_n

عاد الاثنان بسرعة أكبر من التي أتيا فيها، إذ أن الدرب كان نزولاً. عندما وصلا إلى ملتقى الطرق الثلاثة، انحنى يوسوجي أمام مرشدته وشكرها على بالغ لطفها، فأعربت الفتاة عن فرحتها بمساعدة ابن صالح مثله.

وقالت: «بعد ثلاثة أيام ستحتاج إلى المزيد من الماء من أجل أمّك، وسأكون بانتظارك في المكان نفسه لأرشدك من جديد».

فسألها يوسوجي: «هل لي أن أعرف لمن أدين بهذا اللطف كلّه؟».

أجابت الفتاة: «كلاّ لن تعرف لأنني لن أقول لك». فانحنى يوسوجي مجدداً أمامها ثم انطلق في طريقه مذهولاً مندهشاً.

وصل يوسوجي إلى المنزل ووجد أمه في حالة مزرية، فأعطاها كوباً من الماء وأخبرها عن مغامرته. وفي الليل، استيقظ ليهتم بأمّه كعادته ولينا ولها كأساً آخر من الماء. وفي اليوم التالي وجد أن حالتها قد تحسّنت، أما خلال النهار فأعطاها جرعات ثلاث، وفي صباح اليوم الثالث، انطلق إلى موعده مع الفتاة المتّشحة بالبياض فوجدها جالسةً تنتظره على صخرة عند ملتقى الطرق الثلاثة.

Twitter: @ketab_n

قالت الفتاة: «لا شكّ أن أمّك بحال أفضل فالسعادة في عينيك خير دليل على ذلك، اتبعني الآن بسرعة، ثم عد بعد ثلاثة أيام وسألاقيك في المكان عينه. سأبقى أرشدك خمس مرّات، فمن المفترض أن تكون المياه عذبة، وقد تعطي بعض الماء لأهل القرية المرضى أيضاً».

عاد يوسوجي إلى الجبل خمس مرّات، وفي المرّة الخامسة كانت أمّه قد شُفِيَت تماماً، كذلك الأمر بالنسبة لأهل القرية المرضى الذين كانوا على شفير الموت. وقد صار يوسوجي بطل الساعة، وراح الكل يتساءل متعجباً عن الفتاة المتّشحة بالبياض. صحيحٌ أن الجميع قد سمع بمزار أوكي ناغا سوكو نيو، لكن أحداً لا يعرف موقعه، ولو عرفوا لما تجرّأ الكثير منهم على الذهاب إليه. وكان الجميع يعرف أن يوسوجو يدين بالفضل بالدرجة الأولى للعرّاف كامو ياماكيكو فما كان منهم إلا أن أرسلوا له الهدايا. لم يكن يوسوجي مرتاح البال، فهو يعتبر أنه مدين لمرشدته بنجاحه في العثور على الماء وإحضاره إلى القرية ولا يشعر أنه قد عبّر حقاً عن شكره لها. فقد كان في كلّ مرّة وحالما يحصل على الماء الثمين ينحني شاكراً ويسرع إلى المنزل. لكنه شعر أنه يتوجّب عليه فعل أكثر من ذلك، لا شكّ أن الصلاة

Twitter: @ketab_n

في ذلك المزار أمر مهم، لكن يجب أن يعرف من تكون تلك الفتاة المتّشحة بالبياض، وقد ساهم فضوله في دفعه إلى الذهاب إلى ذلك الجبل مرةً أخرى فانطلق في رحلته في الصباح الباكر.

أصبح يوسوجي يعرف الطريق جيداً، فلم يتوقّف عند ملتقى الطرق ولم يحتَر، بل أكمل طريقه مباشرةً إلى المزار. كانت تلك المرّة الأولى التي يسلك فيها الدرب وحده فشعر بالخوف بالرغم من أن أحداً غيره لم يكن في المكان لكنه لم يعرف السبب؛ ربما يكون تلك الظلمة الدامسة في الغابة الكثيفة المظلّلة بجبل فوجي الذي كان بدوره غامضاً، وكان الجبل والغابة معاً يضفيان شعوراً بالقداسة والهيبة على المكان، فلا يسع أحد الاقتراب منه من دون أن تخالجه هذه الأحاسيس.

أسرع يوسوجي بقدر ما أمكنه حتى وصل إلى مزار أوكي ناغا سوكو نيو فوجد أن مياه الجدول قد جفّت، ولم تبقَ قطرةٌ واحدة. جثا على ركبتيه أمام المزار وشكر إله العمر الطويل على جعله وسيلةً لشفاء أمّه وأهل القرية المرضى. كما صلّى من أجل ظهور الفتاة التي أرشدته إلى الجدول حتى يقابلها مرةً أخيرة ويشكرها على لطفها. نهض يوسوجي ورأى مرشدته واقفةً إلى جانبه فانحنى أمامها. كانت الفتاة أول من تكلّم.

Twitter: @ketab_n

فقالت: «ما كان يجب أن تأتي، وقد قلت لك ذلك سابقاً، فهذا المكان محفوف بالمخاطر، شُفيَت أمّك وأهل القرية المرضى. فلم يعد من حاجة لقدومك مجدداً».

أجاب يوسوجي: «أتيت لأعبّر لك عن شكري وامتناني لك، أنا ووالدتي وأهل القرية جميعاً. وكلّنا نريد أن نعرف لمن ندين بإرشادي إلى الجدول. صحيحٌ أن كامو ياماكيكو أخبرني عن الجدول، لكن ما كنت لأصل إليه لولا لطفك وإرشادك لي على مدى أكثر من خمسة أسابيع. أرجو أن تقولي لي من تكونين فنبني لك مزاراً في معبدنا».

فأجابت الفتاة: «هذا ليس ضرورياً، يكفيني الامتنان الذي تشعرون به تجاهي. أعرف أن ابناً صالحاً مثلك لن ينسى ما فعلته وهذا ما جعلني أرشدك إلى الجدول الشافي الذي جفّ كما ترى، إذ لا حاجة له في الوقت الحالي. ليس ضرورياً أن تعرف من أكون، والآن يجب أن نفترق. الوداع! أنهِ حياتك تماماً مثلما بدأتها وستكون سعيداً».

ثم لوّحت الفتاة الجميلة بغصن كاميليا فوق رأسها، فنزلت غيمة عن قمة جبل فوجي، ولفّت الفتاة بالضباب ثم حملتها فوق يوسيجي الذي اغرورقت عيناه بالدموع إذ أنه أدرك حينئذ

Twitter: @ketab_n

أنه وقع في غرام تلك الفتاة، وأنها ليست سوى إلهة فوجياما العظيمة. جثا يوسوجي على ركبتيه يصلّي للإلهة، فرمت له غصن الكاميليا البرية عربون شكر على صلواته.

حمل يوسوجي غصن الكاميليا إلى المنزل، وزرعه واعتنى به أيما اعتناء، فكبر الغصن في وقت قصير وأصبح شجرة تجاوز ارتفاعها العشرين قدماً في خلال عامَيْن. كما شيد مزار، وجاء الناس يصلّون أمام الشجرة، ويقال إن قطرات الندى على أوراق تلك الشجرة كانت علاجاً لشتى أمراض العين.

Twitter: @ketab_n

الحيتان

كثيرةٌ هي القصص والأساطير التي تناولت الحيتان. وتعود إحدى هذه القصص إلى عصر هوين (1135)، وهي تظهر الاحترام الذي كان اليابانيون يكنّونه لهذه المخلوقات والخوف الذي كان يعتريهم منها. سأرفق ترجمة السيد أندو من قنصليتنا، لمقطع من صحيفة يعود تاريخها إلى الثاني عشر من يناير من العام 1907، تبيّن أن المعتقدات الخرافيّة ما زالت موجودة.

منذ زهاء مئة واثنتي وسبعين سنة، مع بداية عصر هوين، احترق مزار أتسوتا في ناغويا. ولسبب ما، يقال إن هذه الكارثة قد وقعت في ذلك الحين بسبب حارس المزار، يودا إمون، الذي أساء إلى أحد الآلهة[1].

(1) كانت الآلهة المعبودة في أتسوتا: إلهة الشمس أماتيراس، شقيقها سوسا نو أو، الأمير ياماتو تايك، وزوجته ميازو هايم والكنز الأثمن كان سيفاً اسمه كوزا ناغي نو تسوروغي، وهو واحد من الأغراض الأثرية الثلاثة التي تشكل الرموز الإمبراطورية في اليابان، وقد سبق أن رويتُ عنه قصةً أو اثنتين، ياماتو دايك نو ميكوتو إحداها (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

في كل الأحوال، احترق المزار، ونُفِيَ الحارس إلى جزيرة أوشيما في مقاطعة إيدزو، المعروفة اليوم بجزيرة فرايز. وهي أكبر جزيرة بين جزر السلسلة الواقعة في الجنوب الشرقي، وهي تقع عند أقصى شمال السلسلة. والجزيرة الأقرب إلى أوشيما هي جزيرة توشي التي غالباً ما يُطلَق عليها اسم ريشيما، والتي تدور فيها أحداث قصتنا.

كان يودا إمون رجلاً ذكياً طموحاً، وقد يكون هذا السبب في إساءته إلى أحد الآلهة الذي أضرم النار في مزاره. في كلّ الأحوال، لقد عانى الكثير بسبب نفيه فلم تصله أي أخبار عن وطنه أو عائلته، مما جعل القلق يتآكله، فنسي طعم الكرى في الليل وفكّر أنه إما سيقتل نفسه أو سيُجَنّ إن لم يجد حلاً لهذه المشكلة.

فكّر أن يحصل على إذن بالصيد، وبالفعل أُذِنَ له بالصيد شرط ألا يبتعد عن الشاطئ أكثر من ميل واحد. يوماً بعد يوم، كان يودا يأخذ القارب المُعطى له، ويعود بصيد وفير من الأسماك، مروحاً عن نفسه ببعض الأغنيات التي يدندنها في الماء. فتحسّنت حاله وعاد النوم إلى عينيه والقوّة إلى جسمه. بعد مضي شهر أو شهرين، أصبح يودا شخصاً محبوباً، يعطي أسماكه مجاناً لمن يريد أخذها، وسرعان ما سُمِحَ له بالابتعاد عن الشاطئ مسافة تتجاوز الميل الواحد.

Twitter: @ketab_n

أصبح يودا بحاراً ماهراً، ولولا فقدان عائلته لكان يعيش بسعادة في موطنه الجديد. وذات صباح هادئ، ابتعد عن الشاطئ أكثر من المعتاد، أملاً اصطياد الأسماك الكبيرة التي يقال إنها موجودة بوفرة على بعد عشرة أميال من توشيشيما. حالف الحظّ يودا فاصطاد ثلاثة أسماك من نوع الإسقمري، المعروفة باسم سارا في اليابان وسير في الهند والباكور عندنا في إنجلترا التي لا تزورها هذه الأسماك. ثم، ولسوء الحظ، لم تهبّ الرياح كما جرت بها العادة من الجنوب الشرقي بل هبّت من الشمال الغربي، وبدل أن يتمكن من العودة إلى أوشيكا، وجد يودا نفسه بعيداً كلّ البعد عن الجزيرة. اشتدّت الرياح أكثر فأكثر إلى أن تحوّلت إلى عاصفة وقويت التيارات حتى جعلت من البحر الهادئ بحراً عالي الأمواج. فجأةً حلّ الظلام، وفكّر يودا أن ذلك عقاباً له على اصطياد الأسماك، فقال: «ما الخطيئة المميتة التي ارتكبتها الآن؟ لابدّ من أنني أخطأت عندما اصطدت هذه الأسماك!». ثم جثا على ركبتيه وصلّى لكن صلواته لم تُستَجَب، بل اشتدّت الرياح أكثر فأكثر وعلت أمواج البحر. بعد حلول منتصف الليل، ضربت موجة كبيرة القارب فأحالته حطاماً، أما يودا فبقي لثلاث ساعات بين الدائخ والغارق متمسّكاً بمجذاف كبير.

Twitter: @ketab_n

ثم شعر بأنه ارتطم بصخرة، فترك المجذاف وارتمى على الصخرة ميتاً أكثر منه حياً. وبعد جهد جهيد، جلس على الصخرة مرهقاً نصف واع في وسط الظلمة الحالكة.

في الصباح، هدأت أمواج البحر، ومع شروق الشمس اكتشف يودا أنه ليس جالساً على صخرة بل على ظهر حوت عملاق. لم يعلم يودا ما يفعل أو يفكّر، ولم يتجرّأ على الحراك خشية إزعاج الحوت، حتى عندما كان الحوت يُخرج الماء والهواء من فتحة رأسه. لكنه كان يتمتم الصلوات بصوت خافت طيلة الوقت. ارتفعت الشمس في السماء، فاستدار الحوت فرأى يودا قارب صيد كبير على بعد أقل من نصف ميل. صرخ بأعلى صوته محاولاً جذب الانتباه لكنه لم يتجرّأ على الحراك خشية أن يوقعه الحوت. كانت الرياح ما زالت شديدة لكن صار البحر هادئاً.

فجأةً غيّر قارب الصيد مساره، وتسمّر الحوت في موضعه يستمتع بأشعة الشمس. تقدّم القارب بسرعة وتوقّف على بعد ثمانين قدم من الحوت، ثم ألقى شخصٌ من على متن القارب بحبل معلّق بعوّامة في المياه بالقرب من الحوت، فقفز إليها يودا ليُسحَبَ إلى متن القارب، ويشكر كلّ من ساهم في إنقاذه.

Twitter: @ketab_n

حالما أصبح يودا على متن القارب، انطلق هذا الأخير بعد أن ضرب الحوت الماء بذيله وانطلق جنوباً نحو المحيط الهادئ.

كان الطاقم على متن القارب من جزيرة توشي، وقد سمعوا بيودا إمون، وشعروا بالأسى عليه كونه منفياً. وبعد أن أخبرهم بمغامرته مع الحوت، لم يطاوعهم ضميرهم إلا أن يعيدوه إلى أوشيما التي وصلوا إليها مع مغيب الشمس.

قدّم يودا نفسه فهنّأه الجميع على هروبه.

بعد ذلك، ترك يودا الصيد، وقرّر الالتزام بقوانين نفيه الصارمة من دون أي تذمّر. وفي مناسبة اعتلاء الأمير تانين العرش، صدر أمرٌ بتحرير الكثير من السجناء والمنفيين. وقد كان يودا إمون من بين المنفيين الذين أُعيدوا إلى مواطنهم، لكنه رأى أنه أصبح لديه الكثير من الأصدقاء على تلك الجزيرة، وأن حياته قد أُنقِذَت بأعجوبة ففضّل البقاء على العودة إلى موطنه. فحصل على إذن بالبقاء وبإحضار عائلته، وهذا تماماً ما فعله بعد أن بنى منزلاً له على الجزيرة. في السنة الأولى من عصر كوجي، أي في العام 1142–1141، أصبح يودا مختار شيشيتو، وهي سلسلة من سبع جزر تحيط أوشيما من جهة الجنوب. فقال يودا لنفسه: «يجب أن أكافئ الحوت على

Twitter: @ketab_n

إنقاذه حياتي!». فأصدر قراراً يحظر صيد أو قتل أي حوت بالقرب من الجزر التي يحكمها. في البداية، أثار هذا القرار بعض الاحتجاج إلا أن الحكومة أرسلت وفداً إلى أوشيما يبلغهم بموافقة الإمبراطور على قرار يودا إمون، وبالفعل لم يُقتَل حوتٌ واحدٌ في شيشيتو طيلة حياة يودا.

Twitter: @ketab_n

الحوت والصياد

قبل سنوات بعيدة، كان في ناغازاكي صيادٌ ثريّ اسمه ماتسوشيما توميغورو. وقد جمع هذا ثروته من صيد الحيتان. وذات ليلة، رأى ماتسوشيما حلماً غريباً: «رأى على وسادته أنثى حوت (زاتو كوجيرا) تحمل حوتاً صغيراً وتطلب منه أن يتركهما بسلام إذ عليهما أن يبلغا نقطة معيّنة من البحر في وقت محدد ويوم معيّن. لو يوافق ماتسوشيما عديم الرحمة على طلب أنثى الحوت بل استغلّ المعلومات التي جاءته بها، فنصب شبكةً في تلك النقطة من البحر في ذلك التاريخ المحدّد واصطاد أنثى الحوت وصغيرها. ومنذ ذلك الحين، بدأ الصياد المجرم يدفع ثمن قسوته، فأصابته الشدّة تلو الشدّة حتى تبدّدت كل ثروته. ويقول جيران ماتسوشيما: «لابدّ من أن يكون هذا عقابه لقتله أنثى الحوت وصغيرها. وبقي الجميع فترةً لا يصطادون فيها الحيتان التي تحمل صغاراً».

Twitter: @ketab_n

شجرة الكرز المقدّسة

في مقاطعة ميمازاكا، قرية صغيرة اسمها كاغامي، وفي معبد القرية مزارٌ لإله الحب موسوبي نو كامي يعود إلى مئات السنين. وبالقرب من المعبد شجرة كرز خلاّبة عتيقة كان يُطلَق عليها اسم كانزاكورا أو شجرة الكرز المقدّسة، وتكريماً لهذه الشجرة بُنِيَ مزار إله الحب.

منذ زمن بعيد، عندما كانت قرية كاغامي أصغر ممّا هي عليه اليوم، كان أحد سكّانها المهمّين رجلٌ اسمه سودايو. وسودايو هو مثال الرجل الذي تجده في معظم قرى اليابان، بقليل من العمل يتغلّب على الآخرين ويفوقهم ثراءً. كان يشتري محاصيلهم ويبيعها، محققاً الأرباح في الحالتين، وقد أصبح ثرياً قبل أن يبلغ خريف العمر.

Twitter: @ketab_n

كان سودايو مترملاً، له ابنةٌ جميلةٌ في السابعة عشرة من عمرها، وكان يعتقد أنه حان الوقت ليبحث عن زوج محترم لابنته هانانو. فناداها وقال لها: «حان الوقت يا ابنتي الغالية لأعثر لك على زوج محترم. وأنا واثقٌ من أنني حين أجده ستوافقين عليه وستتزوجين منه».

انحنت الآنسة هانانو طاعة أمام والدها، لكنها في الوقت نفسه أخبرت خادمتها المفضّلة يوكا أنها لن تتزوّج من رجل لا تكنّ له الحبّ.

وسألتها: «ما عساي أن أفعل؟ بمَ تنصحينني يا عزيزتي يوكا؟ فكّري بطريقة تساعدني على الزواج من رجل أحبّه، رجل وسيم لا يتجاوز عمره الاثنتين وعشرين سنة».

كان من الصّعب على يوكا أن تجد نصيحة ملائمة لطلب سيّدتها ولم يبقَ أمامها سوى حلّ واحد فقالت: «يمكنك الذهاب إلى المعبد والصلاة لإله الحبّ موسوبي نو كامي. اطلبي منه أن يكون الزوج الذي سيجده والدك شاباً وسيماً يحبّك حباً جماً. يقال إنك إن صلّيتِ في هذا المزار واحداً وعشرين يوماً متتالياً، تحصلين على الحبيب الذي تتمنّين».

Twitter: @ketab_n

أُعجِبَت الآنسة هانانو بالفكرة، فذهبت بعد الظهر تصلّي في مزار موسوبي نو كامي، ترافقها خادمتها يوكا. استمرّ الوضع على هذه الحال واحداً وعشرين يوماً، وفي اليوم الأخير، أنهتا صلواتهما، وفي طريق العودة من المعبد، مروراً بشجرة الكرز العظيمة المعروفة بكانزادورا أو شجرة الكرز المقدّسة، طالعهما شابٌ في العشرين أو الحادية والعشرين من عمره واقفاً بالقرب من جذع الشجرة. كان شاباً وسيماً أيما وسامة، وجهه أبيض وعيناه جذابتان، وفي يده غصنٌ من شجرة الكرز. ابتسم لهنانو فردّت له الابتسامة، انحنى أمامها واقترب منها بابتسامته الرقيقة وأعطاها زهرة من شجرة الكرز. فتورّد خدّا هانانو خجلاً وأخذت الزهرة، فانحنى الشاب أمامها ثم مضى في سبيله كما مضت هانانو في سبيلها وقلبها يرقص من السعادة، إذ رأت أن إله الحبّ قد أرسل لها هذا الشاب استجابةً لصلواتها. فقالت: «لا شكّ أن هذا الشاب هدية لي من إله الحبّ، فقد أتممت صلواتي هنا كما قلتِ. ألستُ محظوظة؟ أوليس وسيماً؟ أشكّ أن يكون رجلٌ آخر بوسامته في هذه الدنيا. ليته لم يرحل بهذه السرعة». قالت الآنسة هانانو هذه الكلمات لخادمتها في طريق العودة إلى البيت، وفور وصولهما وضعت هانانو الزهرة في إناء في غرفتها.

Twitter: @ketab_n

نادت هانانو خادمتها يوكا أكثر من عشرين مرّة وقالت لها: «اذهبي واعرفي لي كل شيء عن ذلك الشاب، لكن لا تقولي شيئاً لوالدي. فقد لا يكون هذا هو الرجل الذي اختاره لي زوجاً، لكنني في كلّ الأحوال، لن أحبّ سواه، وفي هذه الحال سأحبه في السرّ. والآن اذهبي يا عزيزتي يوكا واعرفي كل ما أمكنك عن هذا الشاب، فتكونين بذلك أوفى الخادمات وأقربهنّ إلى قلبي». وانطلقت الخادمة الوفيّة في المهمّة التي أوكلتها بها سيّدتها.

لم تعرف يوكا شيئاً عن الشاب الذي رأته مع سيّدتها تحت شجرة الكرز المقدّسة، لكنها علمت أن شاباً آخر في القرية متيّم بحبّ سيّدتها وأنه سمع بأن والدها يبحث عن زوج لها فقرّر أن يتقدّم لطلب يدها في اليوم التالي. كان اسمه توكونوزوكي، وقد كان ذا حسب ونسب، يملك الكثير من المال، لكن لم يكن من مجال لمقارنته من حيث الوسامة بالشاب الذي قدّم زهرة شجرة الكرز لهانانو. بعد أن عرفت ذلك، عادت يوكا إلى المنزل ونقلت الأخبار إلى سيّدتها.

في صباح اليوم التالي، ذهب توكونوزوكي ليقابل والد هانانو، وعندما طلب الوالد من ابنته تقديم الشاي، رأت الشاب توكونوزوكي الذي تصرّف معها بغاية اللطف والتهذيب، ولم

Twitter: @ketab_n

يكد يغادر المنزل حتى أخبر الوالد لهانانو أن هذا هو الرجل الذي اختاره لها زوجاً، وقال لها: «إنه رجلٌ جيدٌ من النواحي كلها، فهو يملك المال، ووالده صديق لي، وهو واقعٌ في حبّك منذ بضعة أشهر. فماذا تريدين أفضل من ذلك؟».

لم تتفوّه هانانو بكلمة، بل انفجرت بالبكاء وأسرعت إلى غرفتها. فنادى الوالد على الخادمة يوكا.

وقال لها: «لقد وجدتُ شاباً محترماً يكون زوجاً لسيّدتك، لكن ذلك لم يُفرِح قلبها بل أسرعت إلى غرفتها تبكي. هلا شرحتِ لي السبب. لابدّ من أنك تعرفين أسرارها، هل هي مغرمةٌ بشاب آخر من دون علمي؟».

لم تكن الآنسة يوكا مستعدّة لمواجهة غضب سيّدها وفكّرت أن الحقيقة وحدها في هذه الحال ستساعد هانانو. فما كان منها إلا أن أخبرت السيد سودايو بالقصّة كاملةً، فشكرها ونادى ابنته وخيّرها بين أن تقدّم حبيبها له أو السماح لتوكونوزوكي بالتقدّم لطلب يدها. في صباح اليوم التالي، حضر توكونوزوكي وطلب يد هانانو للزواج لكنها رفضت وأخبرته والدموع في عينيها، أنها لن تحبّه يوماً فهي مغرمة بشاب آخر لا تعرف حتى اسمه.

Twitter: @ketab_n

قال توكونوزو لنفسه: «هذا أمر غريب، فمن العار أن تحبّ رجل لا تعرف حتى اسمه حتى!». ثم انحنى أمامها وغادر، وهو عازم على معرفة من يكون هذا الشاب الذي أغرِمَت به هانانو ولو اضطرّ إلى التنكّر وتعقّبها.

بعد ظهر ذلك اليوم، ذهبت هانانو ويوكا للصلاة كما جرت بهما العادة، فالتقيا مرّةً جديدة الشاب الوسيم واقفاً تحت شجرة الكرز، فتقدّم من هانانو وقدّم لها غصناً من شجرة الكرز مليئاً بالأزهار، لكنه هذه المرّة أيضاً لم يفه بكلمة فاتّضح لتوكونوزوكي (الذي كان مختبئاً خلف مصابيح حجرية) أنهما لا يعرفان بعضهما بعض منذ زمن طويل.

وبعد لحظات، انحنى واحدهما للآخر وافترقا. ابتعدت هانانو وخادمتها عن المعبد وبقي الشاب تحت شجرة الكرز يراقبهما.

كانت الغيرة تعصف بتوكونوزوكي، فخرج من مخبئه وتوجّه إلى الشاب الواقف تحت شجرة الكرز، وبفظاظة وقسوة قال له: «من أنت أيها النذل البغيض؟ أعطني اسمك وعنوانك! كيف تجرّأت على إيقاع الآنسة هانانو الفاتنة في غرامك؟». وكان توكونوزوكي على وشك الإمساك بذراع عدوّه عندما قفز هذا الأخير فجأةً، وهبّت ريحٌ حملت معها أزهار شجرة الكرز

Twitter: @ketab_n

المتفتّحة، التي تساقطت وحجبت الرؤيا أمام توكونوزوكي للحظات. وعندما تمكّن توكونوزوكي من الرؤية ثانيةً، كان الشاب الوسيم قد اختفى، إلا أن أنيناً كان ينبع من قلب شجرة الكرز عندما أسرع إليه أحد الكهنة من المعبد يصرخ في وجهه: «أيها النذل المدنّس!

ماذا تقصد بارتكابك السوء هنا؟ ألا تعرف أن شجرة الكرز هذه موجودة هنا منذ مئات السنين؟ إنها مقدّسة وفيها روحٌ تتجلّى أحياناً بشكل شاب. إنه الشاب الذي حاولتَ مسّه بيديك المدنّستين. ارحل ولا تجرؤ على دخول هذا المعبد مجدداً!».

لم يتأخّر توكونوزوكي لحظةً، بل حمل نفسه وأسرع إلى منزل سودايو فأخبره بما رأى وبما تورّط به من دون أن يغفل عن أي تفصيل، حتى إنه أخبره بالشتائم التي وجهها له الكاهن.

وأنهى كلامه بالقول: «أعتقد أن ابنتك سترضى بالزواج منّي الآن، إذ لا يمكنها الزواج من روح مقدّسة!».

نادى سودايو ابنته وأخبرها القصّة كاملةً فحزنت حزناً شديداً لمعرفتها أن الشاب الذي أُغرِمَت به ليس إلا روحاً. فراحت تبكي وتقول: «أي خطيئة ارتكبت بوقوعي في حبّ إله؟». ثم

Twitter: @ketab_n

توجّهت إلى المزار تصلّي طالبةً الغفران. صلّت هانانو مطوّلاً بصدق وخشوع طالبةً الغفران وقرّرت تكريس حياتها لذلك المعبد، وقد وافق والدها على قرارها عدم الزواج. بعد ذلك، طلبت إذناً للعيش في المعبد والاهتمام به، فحلقت شعر رأسها، وارتدت سترةً بيضاء من كتّان وسروالاً قرمزي اللون للدلالة على أنها لم تعد تنتمي إلى العالم الخارجي. أمضت هانانو بقية حياتها في ذلك المعبد تنظّف الأرض وتصلي».

ما زال المعبد قائماً حتى اليوم، وعلى الأرجح أن شجرة كرز أخرى زُرِعَت بالقرب من الأولى إذ تلك كانت العادة.

Twitter: @ketab_n

حكاية جبل كانزانراي

في أقصى الساحل الشمال الشرقي لكوريا، يقع جبل كانزانراي الشامخ، وبالقرب منه، في مقاطعة كانكو فو، قرية اسمها تايهايغان تشتهر بحركة التجارة الخفيفة لمنتوجاتها الطبيعية مثل الفطر والخشب والفرو والأسماك والذهب.

في هذه القرية، كانت فتاةٌ جميلة اسمها شويو، وقد كانت يتيمةَ الأم. كان والدها شوكا التاجر الوحيد في المقاطعة، وقد جمع ثروةً كبيرة تركها لشويو عندما بلغت السادسة عشرة من عمرها.

عند قدم جبل كانزانراي، عاش حطّابٌ بسيط وحده في كوخ متداع، لا يحيط به سوى القليل من الناس الذين كان يبيعهم الحطب، وكانوا يرون فيه رجلاً عبوساً غير اجتماعي. كان يُلقَّبُ بالناسك، وكان كثرٌ يتساءلون من يكون ولَم يبق وحيداً، فهو لم يبلغ الثلاثين من عمره بعد كما أنه شابٌ وسيمٌ وبنيته قويّة. كان اسمه ساوادا شيجوكي إلا أن أحداً لم يعرفه.

Twitter: @ketab_n

وذات مساء، كان الناسك في طريق العودة إلى كوخه، على طريق الجبل الوعرة، حاملاً على ظهره رزمةً كبيرةً من الحطب. فتوقّف ليرتاح على صخرة مظلّلة بأشجار الصنوبر العالية التي تعجز أن تطاولها الأيدي، لكنه ارتاع عندما سمع صوت حفيف قريب منه. نظر حوله مرتاعاً إذ يقال إن النمور تكثر في تلك البقعة، وفي الحقيقة، هذا ما أدّى إلى موت الكثير من الناس في ذلك المكان. لكن صوت الحفيف الذي سمعه الناسك لم يكن وراءه نمرٌ، بل طائرٌ خرج من عشّه متظاهراً بأنه مُصاب بالجروح ليشتّت الانتباه عن عشّه. فكّر الناسك أنه لمن الغريب أن يتصرّف الطائر على هذا النحو، فهو لم يره ولم يسمعه، فانتظر الناسك يصغي ليعرف السبب. ولم تمضِ لحظات كثيرة، حتى سمع جلبة، فاختبأ خلف جذع شجرة ضخمة، وانتظر حاملاً الفأس بيده.

ثم رأى فتاةً فائقة الجمال محمولةً ومسحوبةً على الممرّ الضيق في الغابة. وكان معها ثلاثة رجال سفلة، سرعان ما لاحظ الناسك أنهم لصوص.

كان الرجال الثلاثة والفتاة قادمين ناحية الناسك، فبقي مختبئاً خلف شجرة الصنوبر الكبيرة، ممسكاً جيداً بفأسه، وما إن وصلوا على مقربة منه، حتى خرج من مخبئه وقطع عليهم الطريق.

Twitter: @ketab_n

ثم سألهم: «من هي هذه الفتاة؟ وماذا تفعلون بها؟ دعوها ترحل وإلا ندمتم!».

كان الناسك وحيداً واللصوص ثلاثة، فلم يخشوه بل صرخوا في وجهه: «ابتعد عن طريقنا أيها الأحمق ودعنا نمرّ، إلا إن كنت مستغن عن حياتك. لكن الحطّاب لم يخف، بل رفع فأسه، واستلّ اللصوص سيوفهم، إلا أن الحطّاب فاقهم قوةً، فجرح واحداً، ودفع الثاني عن الجرف، أمّا الثالث فلاذ بالفرار.

انحنى الناسك يعتني بالفتاة المغمى عليها. أحضر الماء وغسل وجهها، فاستعادت وعيها، وعندما تمكّنت من الكلام سألها الناسك من تكون وإن كانت مُصابة وكيف وصل إليها اللصوص.

فأجابت الفتاة وسط النحيب والبكاء: «أنا شويو شوكا من قرية تايهايغون. اليوم ذكرى وفاة والدي وقد جئت أصلّي عند قبره عند قدم جبل غاندو. كان الطقس جميلاً، فقرّرت أن أسلك الدرب الأطول، ومنذ ساعة قبض عليّ هؤلاء اللصوص وأنت تعرف الباقي. أنا ممتنة لشجاعتك على إنقاذي يا سيدي. أرجوك أن تخبرني باسمك.

Twitter: @ketab_n

أجاب الحطّاب: «لابدّ من أنك فاتنة قرية تايهايغون المشهورة، لقد سمعت الكثير عنك. أنه لشرف لي أن أتمكّن من مساعدتك. في الواقع أنا حطّابُ، يلقّبونني بالناسك وأسكن عند قدم هذا الجبل. تعالي معي فآخذكِ ترتاحين في كوخي، ثم أوصلكِ إلى منزلك».

شعرت شويو بالامتنان للحطّاب الذي حمل رزمة الحطب على كتفه وأمسك بيدها، يتقدّمها على الدرب الخطير شديد الانحدار. وصلا إلى كوخه، فحضّر لها الشاي، ثم رافقها إلى طرف القرية، حيث انحنى أمامها احتراماً وتقديراً ثم غادر.

تلك الليلة لم تتمكن شويو من إبعاد الحطّاب الشجاع الوسيم عن أفكارها، وقبل بزوغ الفجر، أدركت أنها أُغرِمَت به أيما غرام.

انقضى النهار وحلّ الليل، أخبرت شويو أصدقاءها عن إنقاذها، وكانت كلّما استرسلت في الكلام، غرقت في التفكير بالحطّاب، حتى قرّرت في النهاية الذهاب لرؤيته لأنها تعرف أنه لن يأتي. وفكّرت: «يمكنني أن أراه بحجّة أنني أريد أن أعبّر له عن شكري، وسآخذ له بعض الأطعمة الشهية والسمك».

Twitter: @ketab_n

وبالفعل، في صباح اليوم التالي، انطلقت شويو في رحلتها حاملةً هديّتها في سلّة، ومن حسن حظّها أنها وجدت الناسك في كوخه يشحذ فؤوسه ويتنعّم بالراحة.

قالت له شويو المغرمة: «أتيتُ إليك يا سيدي لأشكرك مرةً أخرى على إنقاذك حياتي في ذلك اليوم، وقد أحضرت معي هديةً أرجو أن تتكرّم عليّ بقبولها».

فأجاب الناسك: «لا شكر على واجب، في كلّ الأحوال يشرّفني سماع كلمة شكر من شفتيك الجميلتين، لكن لا يمكنني قبول الهديّة منك فسأكون بذلك مديناً لك، ولا يصحّ أن يكون الرجل مديناً لامرأة».

شعرت شويو بالإطراء من كلام الناسك لكنها رأت أيضاً أنه صدّها فحاولت إقناعه بقبول الهدية، لكن لم سفر محادثهما إلا عن بعض المزاح إذ أن الناسك أصرّ على عدم قبول الهديّة.

فقالت له شويو: «حسناً، لقد غلبتني هذه المرّة، لكنني سأعود وأقنعك بقبول الهدية منّي».

أجاب الناسك: «عودي متى أردتِ فسأُسرّ برؤيتك لأنني أرى فيك نوراً ينير كوخي المظلم، لكن أرجو منكِ

Twitter: @ketab_n

ألا تجبريني على القبول بهدية منك».

غادرت شويو وهي تفكّر بإجابة الناسك الذكية، وتقول في نفسها: «يا لوسامته، وكم أنا غارقة في حبّه! في كلّ الأحوال، سأظل أزوره وسنرى من سيفوز في النهاية».

كانت شويو الفاتنة واثقةً من نفسها أيما ثقة، وكانت متأكّدة أنها ستفوز في النهاية.

غالباً ما زارت الناسك في الشهرين التاليين، وجلسا معاً وتكلما. قدّم لها أزهاراً برية نادرة الوجود والجمال قطفها لها من أعالي الجبال، وقدّم لها ثمر التوت اللذيذ، لكنه لم يقبل الهدية من يديها. إلا أن ذلك لم يمنع شويو من الغرق في حبّه أكثر فأكثر، وكانت عازمة على الفوز في النهاية، حتى إنها كانت تشعر أن هذا الرجل الغريب يحبّها كما تحبّه لكنه لسبب ما لا يبوح لها بذلك».

في أحد أيام الشهر الثالث بعد إنقاذ حياة شويو، ذهبت مجدداً لرؤية الناسك. فلم تجده في كوخه، فجلست تنتظره. نظرت إلى الكوخ وراحت تفكّر أن هذا المكان لا يليق برجل نبيل مثل الناسك وأنها غنيّة جداً وكلّ ما يهمّها هو الزواج منه، من دون

Twitter: @ketab_n

الحديث عن جمالها الأخّاذ. كانت شويو مستغرقةً في التفكير حين وصل الحطّاب. لم يكن مرتدياً الثياب البالية التي يرتديها عادةً، بل كان يرتدي زي ساموراي ياباني، فوقفت يوشو تلقي التحيّة والدهشة تملأ عينيها.

قال الناسك: «عزيزتي شويو، لابدّ أنك مندهشة من رؤيتي بهذا الزي، لكن يحزنني أن أقول لك، وأنا أعرف ما يدور في قلبك وعقلك، إننا اليوم سنفترق إلى الأبد، لانني سأرحل بعيداً».

ارتمت شويو أرضاً تبكي وتنوح، ثم وقفت وقالت: «لا يمكن أن يحصل ذلك، لا يمكن أن تتركني، خذني معك. لم أبُح لك بحبّي لأنه ليس من شأن الفتاة أن تبوح بحبّها. لكنني أحبّك وقد أحببتك منذ اليوم الذي أنقذتني فيه من اللصوص. خذني معك إلى أي مكان، ولو إلى كهف تسكنه شياطين جهنّم، اسمح لي أن أتبعك إلى أي مكان! فمن دونك لن أعرف طعم السعادة».

قال الناسك: «للأسف، لا يمكن أن يحصل ذلك! هذا مستحيل، فأنا ياباني ولست كورياً. أحبّك بقدر ما تحبّينني لكن لا يمكننا الزواج. اسمي ساوادا شيجوكي، وأنا ساموراي من كورومي. منذ عشر سنوات، ارتكبت جريمة

Twitter: @ketab_n

سياسية ممّا اضطرّني إلى مغادرة موطني. أتيتُ إلى كوريا متنكّراً بحطّاب، ولم أعرف لحظة سعادة إلى حين قابلتك. الآن وقد تغيّرت حكومتنا، فقد أصبحتُ حراً للعودة إلى موطني. أخبرتك قصّتي كاملةً ولم أخبرها لغيرك يوماً». سامحيني على قساوة قلبي لتركك، فأنا أتركك وفي قلبي غصّة وفي عينيّ دموع. الوداع! قال المحارب الشجاع (كما أسماه الراوي) كلمته وخرج من الكوخ، وهو يعرف أنه لن يرى شويو المسكينة مجدداً.

بقيت شويو تبكي وتنتحب حتى حلّ الليل وتأخّر الوقت فأصبح من غير الآمن أن تعود وحدها إلى المنزل، فأمضت ليلتها في الكوخ غارقةً بالدموع. في صباح اليوم التالي، وجدها خدّامها مُصابة بالحمّى، فحملوها إلى المنزل حيث بقيت ثلاثة أشهر تعاني السقم. عندما شُفِيَت، تبرّعت بمعظم أموالها للمعابد، وباعت منزلها ولم تحتفظ سوى بالقليل من المال لتشتري الأرزّ طعاماً لها، وأمضت الأيام الباقية من حياتها وحيدةً في الكوخ عند قدم جبل كانزانراي حيث وُجِدَت ميتة منفطرة القلب وهي في الحادية والعشرين من عمرها. كان المحارب شجاعاً، لكن هل كان شريفاً على

Twitter: @ketab_n

الرغم من كبريائه الوطني؟ يعتقد اليابانيون أنه تصرّف كما تصرّف بوذا عندما تخلّى عن الحبّ الدنيوي. لكن كيف من الممكن أن تصبح اليابان وكوريا صديقتين إن تصرّف الرجال جميعاً على هذا النحو؟

Twitter: @ketab_n

جبل العظام البيضاء

عند قدم جبل شومونجاتاك، شمال غرب مقاطعة إيشيجو، كان، وعلى الأرجح لا زال، معبدٌ، بالرغم من حالته المهترئة، يتمتّع بأهمية كبيرة كونه مقبرةً لأسلاف السيد الإقطاعي يامانا. كان اسم المعبد فومونجي وقد حافظ عليه كهنةٌ رفيعو المستوى جيلاً بعد جيل، وذلك بفضل مساعدة أقارب السيد يامانا. وكان من بين رؤساء الكهنة في هذا المعبد كاهنٌ اسمه أجاري جون وهو ابن عائلة أوتومو بالتبنّي.

كان أجاري متعلّماً فاضلاً، له العديد من الأتباع. لكن في أحد الأيام، أدّت به رؤية فتاة جميلة في الثامنة عشرة من عمرها واسها كيكو (الأقحوانة)، أدّت به إلى تزعزع توازنه الديني. فقد وقع في غرامها وعرض عليها التضحية بمنصبه وسمعته إذا ما وافقت على تلبية رجائه والزواج منه، لكن الفاتنة كيكو لم تستجب لتوسّلاته. وبعد مرور سنة، مرضت هذه مرضاً شديداً وأصيبت بالحمّى وماتت، فسار بين الناس خبرٌ بأن

Twitter: @ketab_n

الكاهن أجاري، وبدافع الغيرة، ألقى عليها لعنة تسببت في مرضها وموتها. ولم تكن تلك الشائعة من دون سبب فبعد مرور أسبوع على وفاة كيكو، جُنَّ أجاري وتخلّى عن دعوته، وتدهورت حالته حتى بدأ يجري على غير هدى في المعبد، يصرخ في الليل ويرعب كل من يقترب منه. في النهاية حفر قبر كيكو وأكل قطعةً من لحمها.

قال الناس إنه تحول إلى شيطان ولم يجرؤ أحد على الاقتراب من المعبد، حتى إن الكهنة الشبان في المعبد غادروه فبقي أجاري وحيداً. ذُعِرَ الناس وما عاد أحدٌ يقترب من المعبد الذي سرعان ما تداعى ونمت شجيرات شوكية على سطحه وغطت الطحالب الأرضيات التي كانت مصقولة لماعة، وبنت الطيور أعشاشها داخل المعبد وعششت على الألواح الجنائزية وأحدثت الفوضى في كل مكان، فتحوّل المعبد من تحفة فنية جميلة إلى خراب تام.

وذات مساء صيفي، بعد مرور ستة أو سبعة أشهر، كانت سيدة تمتلك متجراً للشاي عند قدم جبل شومونجاتك على وشك إغلاق متجرها عندما فزعت لرؤية كاهن على رأسه قلنسوة بيضاء يقترب منها. صرخت السيدة وهي تغلق مصراع الباب الأخير في وجه الكاهن الشيطان: «اذهب بعيداً لا يمكننا استقبالك هنا».

Twitter: @ketab_n

صاح صوت من الخارج ماذا تقصدين بالكاهن الشيطان؟ إنني كاهن مرتحل أو حاج ولست لصّاً. دعيني أدخل فوراً. أرغب في الحصول على قسط من الراحة. نظرت السيدة العجوز عبر شق بين مصراعي الباب وعرفت أنه ليس الكاهن المجنون بل كاهن حاج منهك، ففتحت له الباب واعتذرت بشدة وأخبرته أن الذعر يسكنهم جميعاً من كاهن من معبد فومونجي أصابه جنون الحبّ.

قالت له: «آه يا سيدي! إن الأمر رهيب بحق ونحن لا نجرؤ على الاقتراب لمسافة نصف ميل من المعبد ومن المؤكد أن الكاهن الراهب المجنون سيخرج في أحد الأيام ويقتل بعضاً منا».

سألها المسافر: «هل تقولين لي إن كاهناً نسي نفسه منذ أمد بعيد وخالف تعاليم بوذا وجعل نفسه عبداً للأهواء الدنيوية؟».

صاحت العجوز: «أنا لا أعلم بشأن الأهواء الدنيوية لكن كاهننا تحوّل إلى شيطان وهذا ما سيخبرك به الناس أجمعين هنا، فهو قد حفر قبر الفتاة المسكينة التي تسبب في موتها بلعنته وأكل بعض لحمها!».

Twitter: @ketab_n

أجاب الكاهن: «في بعض الحالات يتحوّل الناس إلى شياطين لكنهم عادةً ما يكونون أناساً عاديين لا كهنة، فقد تحول أحد رجال بلاط الإمبراطور سو إلى أفعى، وزوجة يوساي إلى عثة، ووالدة أوغان إلى خفاش يمص الدماء، لكنني لم أسمع يوماً بكاهن يتحوّل إلى شيطان، كما أنني سمعت كثيراً أن أجاري جون الكاهن في معبد فومونجي رجلٌ فاضلٌ ذكيٌ وفي الواقع لقد أتيت إلى هنا لأحظى بشرف لقائه وسأذهب غداً لمقابلته».

قدمت العجوز الشاي للكاهن ورجته إعادة التفكير في قراره، لكن الكاهن أصرّ وقال إنه سيذهب غداً إلى الكاهن المجنون وسيقرأ له عظةً، ثم استلقى ونام.

عصر اليوم التالي، انطلق الكاهن الحاج في رحلته إلى معبد فومونجي، ترافقه العجوز في الجزء الأول من مسيرته، حتى الممرّ المؤدي إلى المعبد على الجبل، ثم ودّعته رافضةً أن تتقدّم خطوة إضافية.

كانت الشمس قد مالت إلى الغروب عندما لمح الكاهن المعبد، ولاحظ أن المكان أصبح في حالة فوضى عارمة حيث انفصلت البوابات عن مفصلاتها وتبعثرت الأوراق اليابسة في كل مكان تتكسّر تحت قدميه خلال سيره، لكنه مشى بشجاعة

Twitter: @ketab_n

ودق جرس المعبد الصغير بعصاه، فطارت طيور وخفافيش كثيرة من المعبد تصفّق بأجنحتها فوق رأسه، لكنه لم يلاحظ أي إشارة لوجود أحد. دقّ الجرس مجدداً بقوة وتردد صدى الصوت في المكان وفي النهاية ظهر كاهن نحيف رث الهيئة ونظر له بوحشية وقال: «من أنت؟ ولمَ أتيت؟ هذا المعبد مهجور منذ أمد طويل لسبب أجهله، إذا كنت تبحث عن مأوى فاذهب إلى القرية، ما من طعام هنا ولا فراش».

أجاب الكاهن الحاج: «أنا كاهن من مقاطعة واكاسا، إن المناظر الجميلة والجداول الصافية أخذت من وقتي ما يكفي ليتأخّر الوقت ويستحيل عليّ العودة إلى لقرية. أنا منهكٌ وأرجو منك أن تدعني أقضي ليلتي هنا».

فأجاب الكاهن الآخر: «لا أستطيع أن آمرك بالابتعاد لكن هذا المكان أشبه بالخراب، يمكنك البقاء إن شئت لكن ما من طعام هنا ولا فراش». قال الكاهن كلمته وجلس في الركن على صخرة في حين جلس الكاهن الزائرعلى صخرة أخرى من دون أن ينبسا ببنت شفة حتى حل الظلام وهلّ القمر. قال الكاهن المجنون: «حاول أن تجد مرقداً لك في الداخل، صحيحٌ أنه ما من فراش لكن السقف سيمنع تساقط

Twitter: @ketab_n

ندى الجبل الذي يهطل بكثافة هنا ويبلّل كل شيء». ثم دخل المعبد ولم يعلم الكاهن الزائر إلى أين توجه فقد كان الظلام حالكاً ولم يتمكّن من اللحاق به فقد كان حطام التماثيل والأثاث الذي تسبّب به الكاهن في المراحل الأولى من جنونه، يعمّ المكان. تحسّس الكاهن الحاج طريقه حتى وجد لنفسه مكاناً بين تمثال ضخم محطم وجدار حيث قرر أن يبيت ليلته وكان المكان آمناً لكي يخفي نفسه من الكاهن المجنون الذي كان عالماً بكل زاوية من المعبد من دون الحاجة إلى أي ضوء أو نور. ومن حسن حظه أنه كان قوي البنية، وافر الصحّة، حتى يتدبّر أمره من دون طعام ويتحمل البرد القارس والرطوبة. سمع الكاهن الزائر صوت مياه الينابيع تجري على جانب الجبل ثم سمع صوتاً مزعجاً هو صوت الجرذان المطاردة والخفافيش تطير داخل المكان وخارجه ونعيق البوم ولكن بغض النظر عن ذلك كله لم يُسمَع صوتٌ للكاهن المجنون. مرّت الساعة تلو الساعة حتى الواحدة صباحاً وعندما بدأ الكاهن الزائر يشعر بالنعاس نهض فجأة بعد أن سمع ضوضاء وبدا كأن المعبد بأكمله يتهدم وانغلقت مصاريع النوافذ بقوة لدرجة أنها سقطت على الأرض وتطايرت التماثيل وقطع الأثاث يميناً ويساراً وفي الخارج

Twitter: @ketab_n

سمع صوت خطوات الكاهن المجنون وهو يركض حافياً ويصرخ: «أين ذهبت الجميلة كيكو؟ أين حبيبتي كيكو؟ أين هي؟ لقد اجتمعت الآلهة والشياطين لتحرمني منها وأنا أريد أن أهزمهم جميعاً، كيكو، كيكو تعالي إلي!».

فكر الكاهن الزائر أن مخبأه الضيق سيصبح مهدداً إذا ما اقترب منه الكاهن المجنون، فاستغلّ الفرصة عندما كان الكاهن المجنون في الجانب البعيد من المعبد ليختبيء مجدداً في مكان يسهل منه رؤية ما يحدث والفرار عند الضرورة.

اختبأ أولاً في زاوية من المعبد ثم في زاوية أخرى، وكان الكاهن المجنون في الوقت نفسه يقوم بزيارات خاطفة خارج المعبد، ويصرخ طوال الوقت وينادي كيكو ومع اقتراب الصباح عاد للركن الذي يعيش فيه في المعبد وسكنت الضوضاء، ثم خرج الكاهن الزائر مجدداً من مخبئه وجلس على الصخرة التي جلس عليها الليلة السابقة وقرر أن يعرف إن كان من الممكن أن يبدأ حديثاً مع الرجل المجنون ويقرأ عليه عظةً من تعاليم بوذا المقدسة وجلس بصبر حتى ارتفعت الشمس في السماء. لكن الهدوء ظل يسود المكان ولم تكن هناك أي إشارة إلى وجود الكاهن المجنون.

Twitter: @ketab_n

بحلول منتصف اليوم سمع الكاهن الزائر أصواتاً في المعبد وسرعان ما أتى الكاهن المجنون وبدا كأنه قد استيقظ للتو بعد حفل صاخب. وكان يبدو مصاباً بدوار وهادئاً وفوجيء عندما شاهد الكاهن العجوز جالساً على الصخرة كما كان في الليلة السابقة. نهض الكاهن العجوز واقترب منه وقال: «يا صديقي، اسمي أونجاي وأنا كاهن شقيق من معبد دايجوجي في مقاطعة واكاسا وأتيت إلى هنا لأقابلك بعد أن سمعت بحكمتك العظيمة. لكنني سمعت الليلة الماضية في القرية أنك خالفت تعاليم بوذا وأنك تخلّيت عن نذورك ككاهن وأحببت فتاة وتحولت بسبب حبك لها إلى شيطان خطير وبالتالي فإنني رأيت أنه من واجبي أن آتي إلى هنا وأقرأ عليك عظةً، لأنه من المستحيل أن يمر ما تفعله من دون ملاحظة. أرجو منك أن تستمع إلى عظتي وأخبرني إن كنت أستطيع مساعدتك».

أجاب الكاهن المجنون بهدوء: «لابد من أنك بوذا، أخبرني بما يمكن أن أفعله لأنسى الماضي وأصبح كاهناً فاضلاً ومقدساً من جديد».

أجاب أونجاي: «تعال هنا واجلس على هذه الصخرة». ثم قرأ عليه عظةً من الكتاب المقدس البوذي وانتهى بالقول والآن إن

Twitter: @ketab_n

شئت أن تطهر روحك فيجب أن تجلس على تلك الصخرة حتى تصبح قادراً على تفسير السطور التالية المكتوبة في هذا الكتاب المقدس: «سطع القمر على البحيرة ومرت الرياح بين أشجار الصنوبر وظلت الليلة الطويلة هادئة حتى منتصف الليل». قال أونجاي هذه الكلمات ثم انحنى أمام الكاهن المجنون وغادر تاركاً إياه جالساً على الصخرة يفكر.

بقي أونجاي شهراً يتنقّل من معبد إلى معبد ويقرأ العظات. وفي النهاية عاد بالصدفة في طريقه إلى معبد فومونجي وفكر أنه يجب أن يزور جون المجنون ويعرف ما حدث معه. وقد مرّ في طريقه بمتجر الشاي الذي جلس فيه في البداية وسأل العجوز عما إذا كانت قد سمعت مجدداً عن الكاهن المجنون.

أجابت العجوز: «كلا لم نسمع عنه ولم نرَه، وقد قال بعضهم إنه رحل ولكن لا أحد يعلم على وجه التحديد ما الذي حدث، فما أحد يجرؤ على الذهاب إلى المعبد والتحقق من ذلك».

قال أونجـاي: «حسنا، سأذهب صباح الغد وأتحقق من الأمر».

Twitter: @ketab_n

في صباح اليوم التالي، ذهب أونجاي إلى المعبد ووجد أن جون ما زال جالساً على الصخرة كما تركه يتمتم الكلمات التي قرأها عليه: «سطع القمر على البحيرة ومرت الرياح بين أشجار الصنوبر وظلت الليلة الطويلة هادئة حتى منتصف الليل». وكان شعر جون ولحيته قد طالا وتحول لونهما إلى الرمادي، وجسمه قد هزل حتى أصبح شفافاً تقريباً. شعر أونجاي بالشفقة على جون لتصميمه وصبره وطفق الدمع من عينيه وقال له: «انهض انهض، إنك بالفعل رجل مقدس عازم».

لكن جون لم يتحرك ولكزه أونجاي بعصاه لإيقاظه إذ اعتقد أنه نائم ولكنه شعر بالفزع عندما تفتت جون واختفى مثل بحيرة من الثلوج الذائبة.

بقي أونجاي في المعبد ثلاثة أيام يصلّي من أجل روح جون وعندما سمع القرويون بهذا العمل النبيل قاموا بإعادة بناء المعبد وجعلوا جون كاهنهم. وبعد أن كان معبدهم منتمياً رسمياً لمذهب ميتسو أصبح منتمياً لمذهب جو دو الذي يتبعه أونجاي وتحول اسمه من معبد فومونجي إلى هاكوتسوزان أي جبل العظام البيضاء وتردد أن المعبد ظلّ مزدهراً مئات السنين بعد ذلك.

Twitter: @ketab_n

مأساة ليلة عاصفة[1]

كلّ من قرأ عن تاريخ اليابان، سمع بالتأكيد عن سايغو تاكاموري الذي وُلد في العام 1827 وتوفّي في العام 1877. كان مؤيّدًا كبيرًا للحكم الإمبراطوري وحارب من أجل الإمبراطور حتى العام 1876 حين يئس بسبب رفضه للتوحيد الأوروبي الذي حلّ في المنطقة والذي أدّى إلى التخلّي عن التقاليد الوطنيّة القديمة. كان سايغو تاكاموري القائد الأعلى للقوّات المسلّحة في الجيش الإمبراطوري فهاجر إلى كاغوشيما حيث حشد مجموعة من الأتباع المخلصين، وكانت تلك الفترة بدايةً لتمرّد ساتسوما. هزم مؤيّدو الحكم الإمبراطوري تلك المجموعة وقُتل سايغو تاكاموري في العام 1877- يقول بعضهم إنه توفي في الصراع الأخير ويقول بعضهم الآخر إنه انتحر بحسب تقليد السيبوكو وقُطع رأسه ودُفن سرًا حتى لا يقع بين أيدي أعدائه.

كُرّم سايغو تاكاموري بطريقة لائقة حتى من قبل مؤيّدي الحكم الإمبراطوري. يصعب تسميته متمرّدًا لأنه لم يتمرّد على

(1) أخبرني فوكوغا هذه القصّة وقد شهد على صحّتها (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

الإمبراطور إنما على فكرة تبني النمط الأوروبي المزعج. من يستطيع القول إنه لم يكن محقًّا؟ كان رجلًا عطوفًا ومخلصًا جدًّا. هل يجب علينا جميعنا أن نتبع وبشكل معتدل النظام الحكومي السائد في إنجلترا إذا قيل لنا إنه يجب الاعتياد على تقاليد سكّان جزيرة بحر الجنوب وعاداتهم؟ بالتأكيد سوف يكون ذلك الأمر بالنسبة إلينا أقلّ إثارة للغضب مما كان عليه التوحيد الأوروبي بالنسبة لسايغو.

في السنة الأولى من فترة ميجي(1868) هزم سايغو جيش توكوغاوا شرّ هزيمة في فوشيمي ووجد المارشال توكوغاوا كيدي صعوبةً كبيرة في النزول إلى البحر والهروب إلى يدو. تقدّم الجيش الإمبراطوري في موازاة طريق توكايدو وعقد العزم على القضاء على قوّة توكوغاوا. ثم وصل حرّاس الجيش الذين يتقدّمون المجموعة، إلى منطقة هيراتسوكا التي تقع على المنحدر، تحت جبل فوجي.

كان الخامس من أبريل، وكان يوماً ربيعياً بامتياز وأشجار الكرز قد أزهرت بالكامل. حضر حشدٌ من المنطقة لمشاهدة الجنود المنتصرين اللذين كانوا في طليعة الجيش الذي هزم توكوغاوا. كان هناك الكثير من المتسوّلين والباعة الجوالين

Twitter: @ketab_n

وبائعي الحلوى والبطاطا المشويّة وغيرها. وعند المساء، تلبّدت السماء بالغيوم؛ وفي الساعة الخامسة، بدأت الأمطار تهطل، وفي السادسة، كان الجميع قد دخلوا ملاجئهم.

أقام ضبّاط الأركان ومعهم سايغو الشجاع حفلةً في الحانة الرئيسيّة. كانوا يستفيدون من الطقس السيء على أحسن وجه وما كانوا نشيطين. في تلك الأثناء، سمعوا ألحان شاكوهاشي الناعمة الصادرة من الباب الخارجي.

قال أحدهم: «إنه المتوسّل الضرير الذي كان يعزف قرب المعبد في الصباح. بلى إنه هو». وقال آخر: «بالتأكيد أن الرجل الفقير مبللٌ بائسٌ، فلندعه إلى الداخل».

فوافق الجميع بمن فيهم سايغو تاكاموري وقالوا: «هذه فكرةٌ ممتازة، سنستدعيه وسنتبرّع له إن تمكّن من إنعاش روحنا في هذا الطقس. أمروا صاحب الحانة باستدعاء عازف المزمار الضرير».

تقدّم العازف عبر باب جانبي وأُدخل إلى الحانة بحضور الضبّاط. قال لهم: «أيها السادة، لقد تصرّفتم معي باحترام وطيبة لأنه ليس حسناً أن أبقى خارجًا وأعزف تحت المطر وأنا أرتدي ملابس قطنيّة. أظنّ أنني أستطيع ردّ هذا الجميل نظرًا إلى أنه قيل

Twitter: @ketab_n

لي إنني أعزف جيّدًا على آلة الشاكوهاشي. منذ أن أصبحت ضريرًا، صار العزف مصدر بهجتي الوحيدة وحتى إنه وسيلة عيشيَ الوحيدة. من الصعب في هذه الأيام المضطربة وحيث كلّ شيء مقلوب رأسًا على عقب أن يكسب المرء رزقه. لا يأتي الكثير من الرحّالة إلى الحانات في الوقت الذي تحتلّها القوّات الإمبراطورية. هذه أيّامٌ صعبةٌ أيها السادة».

«قد تكون صعبة بالنسبة إليك أيها الضرير المسكين، لكن لا تقل شيئًا عن القوّات الإمبراطورية، لأننا ملزمون حينئذ على الشعور بالشكّ لأن جواسيس جيش توكوغاوا متواجدون في كلّ مكان. في الواقع، كلّ واحد منا بحاجة إلى ثلاث عيون في رأسه».

قال الكفيف: «حسنًا، حسنًا، لا أرغب بقول شيء ضدّ القوّات الإمبراطورية، كلّ ما أوّد قوله إنه يصعب كثيرًا على رجل ضرير أن يكسب ما يكفي من الأرزّ الذي يسدّ به جوعه. يتمّ استدعائي مرّةً في الأسبوع لأعزف في سهرات خاصّة أو لأدلّك بعض الأشخاص المصابين بالروماتيزم الذي يؤدّي إليه طقسٌ باردٌ كهذا، فليباركه الرب!».

Twitter: @ketab_n

قال سايغو: «حسنًا، سوف نرى كيف باستطاعتنا مساعدتك، أيها الرجل المسكين. اذهب وقم بجولة في الحانة وأرني كم بإمكانك أن تجمع، ومن ثم سوف نبدأ الحفلة الموسيقيّة».

قام ماتسويشي بما أُمر به، وعاد إلى سايغو بعد زهاء عشر دقائق ومعه خمسة أو ستة ين، فأضاف إليه سايغو المزيد وقال له: «خذ أيها المسكين، ما رأيك بذلك؟ لا تقل بعد الآن إن القوّات الإمبراطورية هي سبب معدتك الفارغة. قل بالأحرى إنك لو عشت بالقرب من هذه القوات لكانت معدتك امتلأت لدرجة تجعلك تفتح عينيك بحكم الإضطرار فقط وعندها سوف تجد نفسك وقد غيرت مهنتك. ولكن، دعنا نستمع إلى عزفك. نشعر بالكسل هذه الليلة ونرغب في بعض النشاط والحيويّة».

«أيها السادة، هذا كرم كبيرٌ جدًّا ويتعدّى موسيقاي المتواضعة! استردّوا بعض أموالكم».

فأجابوا: «كلا، كلا، نحن جنود وضبّاطٌ في الجيش الإمبراطوري، تتقلّب حياتنا من يوم إلى آخر. يسرّنا أن نعطي ونستمتع بالموسيقى حين نتمكّن من ذلك».

Twitter: @ketab_n

بدأ الضرير يعزف ويعزف مطوّلاً حتى ساعة متأخرة. أحيانًا كانت ألحانه مفعمة بالحياة وأحيانًا أخرى كانت حزينة أشبه بهواء الربيع الذي يتخلل أشجار الكرز، ولكن سلوكه كان ساحرًا وكانوا جميعهم ممتنّين له لأنه قدّم لهم سهرةً مسلّيةً. وعند الساعة الحادية عشرة، انتهت الحفلة وذهب الضبّاط ليستريحوا. خرج العازف من الحانة، وأقفل المالك كاتو شيشيبيي الأبواب على الرغم من وجود حرّاس في الخارج.

كانت الحانة مسيّجة وكانت أجمات من الخيزران تنتصب في الزوايا. أمّا في البعيد، فهناك جبلٌ مع بحيرة في أسفله، وكان هناك قرب البحيرة بيت اصطياف صغير ترتفع عنده شجرة صنوبر عملاقة وقديمة يلتوي أحد أغصانها فوق سطح الحانة تمامًا. عند الساعة الواحدة فجرًا تقريبًا، ظهر شكل رجل يتسلّق الشجرة الكبيرة خلسةً حتى وصل إلى الغصن الذي يتدلّى إلى الحانة. عند وصوله انبطح وتلوّى طبعًا بهدف الوصول إلى الطابق الأعلى من المنزل. لسوء حظّه، كسر غصنًا صغيرًا يابسًا مما تسبب بصوت لفت انتباه أحد الحرّاس الذي صرخ مصوباً بندقيته: «من هناك؟». لكنه لم يلقَ جواباً. ثم صرخ طالبًا المساعدة وبظرف عشرين ثانية فقط، استيقظ سكان المنزل كلهم وخرجوا

Twitter: @ketab_n

منه. أما ذلك الرجل فتعّذر عليه الفرار من فوق الشجرة. فألقي القبض عليه وسجن. تخّيل كيف ذُهل الجميع حين اكتشفوا أنه كان المتوسّل الضرير، الذي لم يعد ضريرًا الآن. كانت عيناه تقدحان شرراً في وجوه معتقليه لأنه كان يظنّ أنه قضي على حياته وشبابه.

صرخ الجميع: «من هو؟ ولماذا احتال علينا وادعى أنه كفيف ليلة أمس؟».

قال أحدهم: «إنه جاسوسٌ، هذا ما هو عليه! جاسوسٌ لتوكوغاوا. خذوه إلى مركز القيادة الرئيسي وليستجوبه رئيس الأركان، انتبهوا وقيّدوا يديه لأنه لابدّ من أن يكون مقاتلًا».

على هذا النحو، تقدّم السجين إلى معبد هومّونجي الذي اتخذه رئيس الأركان مركزًا مؤقتًا له.

وصل السجين بحضور سايغو تاكاموري وأربعة ضبّاط آخرين من الجيش الإمبراطوري وكان كاتسورا كوغورو واحدًا منهم.

«ارفع رأسك وقل لنا ما اسمك».

Twitter: @ketab_n

أجاب السجين: «اسمي واتانابي تاتسوزو وأنا أنتمي بفخر إلى حرس قوّات توكوغاوا».

قال له سايغو: «أنت وقحٌ. هل تتنعّم علينا بالطيبة وتخبرنا لمَ تظاهرت بأنك متوسّلٌ ضريرٌ، ولمَ كنت تتسلل إلى الحانة؟».

لقد لاحظت أن السفير الإمبراطوري كان نائمًا هناك، فلا تسعى قضيتنا إلى قتل الضباط العاديين!».

أجابه سايغو: «أنت مجنونٌ، هل ستشعر بحال أفضل إن قتلت ياناغيوارا أوهاشيموتو أو كاتسورا؟».

أجابه السجين بوقاحة: «هذا سؤالٌ أحمقٌ، كلّ واحد منّا يقوم بجهده. وتُعتبر جهودي جزءًا بسيطًا؛ ولكننا سوف نحقق غاياتنا شيئًا فشيئًا».

سأله سايغو: «هل معك أيّ رفيق هنا؟».

أجاب السجين: «يا الهي، كلا، نحن نعمل على انفراد لأننا نظنّ أن ذلك أفضل لقضيتنا. كانت نيّتي أن أقتل أيّ شخص ينتمي إلى مركز مهمّ فيشكّل موته قوةً لنا. كنت أتصرّف تمامًا كما اعتقدت أنه الأفضل».

Twitter: @ketab_n

فقال له سايغو: «إن ولاءك هذا يثير الإعجاب، ولكن عليك أن تعترف أنه بعد الفوز الأخير للقوّات الإمبراطورية في فوشيمي انتهت ولاية توكوغاوا التي دامت أكثر من ثلاثمئة سنة. من الطبيعي أن تحاول السلالة الإمبراطورية استرداد السلطة. ونيّتك محتملةٌ لدعم سلطة قد ولّت. ألم تسمع يومًا بالمثل الذي يقول يدٌ واحدة لا تصفّق؟ قل لي بصدق الآن ما هي الأفكار السخيفة التي تخطر في بالك؟ هل تظنّ حقًّا أن لدى جيش توكوغاوا فرصةً أخرى؟».

قال السجين: «لو كنتَ أي شخص غير سايغو البطل الرائع، لما كنت أجبتك عن هذه الأسئلة، ولكن بما أنك العظيم سايغو تاكاموري وكوني معجبٌ بوفائك وشجاعتك، سأعترف لك أنه بعد هزيمتنا، شكّل زهاء مئتي محارب وأنا منهم، مجموعة وأقسمنا على تكريس حياتنا للقضية بقدر الإمكان. أقول لك بأسف إن الرجال كلّهم قد هربوا فروا وأنا (بقدر ما أستطيع الحكم) الرجل الوحيد الذي بقي هنا. وبما أنك سوف تعدمني فلن يتبقّى أيّ واحد منّا».

صرخ سايغو: «توقّف، لا تضف شيئاً. دعني أسألك: «لمَ لا تنضمّ إلينا؟ أن قوّات توكوغاوا قد زالت، وقد توفيّ الكثير

Twitter: @ketab_n

من الساموراي المخلصين ولكن الجاهلين لأجل تلك القوّات. يجب على العائلة الإمبراطورية أن تتولّى الحكم، وتسعة أعشار من البلاد تطالب بذلك. مع ذلك، فاعترافك بالذنب وإخلاصك الباهر يلزمانا بكلّ سرور أن ندعوك إلى صفوفنا. ففكّر قبل الإجابة».

لم يكن التفكير ضروريًّا، فأجاب واتانابي تاتسوزو فورًا: «كلا، أبـدًا. على الرغم من أنني صرت وحيدًا، فلن أخون قضيّتي. كان يجب أن تقطع رأسي قبل حلول الفجر. لقد رأيت القوّة في براهينك التي تقول إنه يجب على العائلة الإمبراطورية أن تتولّى الحكم، ولكن لن تبدّل تلك البراهين قراري المتعلّق بقدري الخاص».

وقف سايغو وقال: «يجب احترام هذا الرجل. هناك العديد من قوات توكوغاوا الذين انضمّوا إلى قضيتنا بسبب الخوف، ولكنهم أبقوا الكره في قلوبهم. انظروا جميعكم إلى واتانابي ولا تنسوه قطّ لأنه رجلٌ نبيلٌ ومخلصٌ حتى الموت». بعد ذلك، انحنى سايغو أمام واتانابي ثم التفت إلى الحارس، و قال له: «خذ السجين إلى سامبون ماتسو(شجرات الصنوبر الثلاث) واقطع رأسه مع بزوغ الفجر».

Twitter: @ketab_n

وهكذا، أخذ الحارس واتانابي تاتسوزو إلى المكان المحدّد وأعدمه.

ثمة مفترق طرق على الطريق الذي يقود إلى ماريكو على يمين نيتّا فيرّي وعلى بعد خمسة أو ستة شو(وحدة قياس يابانيّة تساوي مئة وتسعة أمتار تقريبًا) من الهضبة حيث ينتصب معبد هومّونجي وايكيغامي واين ايباراجوم وتوكيو فو حيث هناك قبرٌ صغيرٌ عليه بلاطةٌ نقش عليها التالي: «قبر فوتيتسو- شي»، ويقال إن واتانابي تاتسوزو دُفن في ذلك الموضع.

Twitter: @ketab_n

لوحة شبح مقاطعة آكي[1]

في جنوب البحر الداخلي بين أوميدايتشي وكور (هي الآن ميناء كبير) في مقاطعة آكي، كانت قرية صغيرة اسمها ياياما، عاش فيها رسام مشهور اسمه آبي تينكو وكان يعمل بالتعليم أكثر من الرسم، معتمداً في كسب عيشه على موارد بسيطة ورثها عن والده وعلى الرسامين الصاعدين الذين كانوا يتوافدون إلى القرية للتعلّم على يديه.

وفّرت الجزيرة والمشاهد الطبيعية الصخرية المحيطة بها في المنطقة مادة دراسة مستمرة ولم يعانِ تينكو قط من قلة التلاميذ.

ومن بين هؤلاء التلاميذ واحد لا يزيد عن كونه مجرد صبي إذ كان عمره لا يتجاوز سبعة عشر عاماً وكان اسمه ساورا كاميجو وكان أحد أكثر التلاميذ تميزاً. فقد جاء إلى تينكو

(1) منذ مئتي وخمسين عاماً تقريباً ارتبطت أسطورة غريبة باللوحة التي رسمها رسام شهير اسمه ساورا كاميجو ونتيجة الأسباب المذكورة في القصة نقلت اللوحة لخزانة رئيس الكهنة في معبد كورينجي (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

منذ أكثر من سنة عندما كان في السادسة عشرة، وكان والده صديقاً لتينكو الذي أحب الصبي وعلمه وعامله كابن له.

وكان لتينكو شقيقة تعمل في خدمة حاكم آكي الذي أنجبت منه ابنة، ولو أنها أنجبت منه صبياً فإن أسرة آكي كانت ستتبناه ولكن لأن المولود كان فتاة فقد أرسلت لأسرة والدتها وفقاً للتقاليد اليابانية ونتيجة لذلك تولى تينكو مسؤولية رعاية الطفلة التي اسمها كيمي.

ماتت والدة الفتاة فعاشت مع خالها لمدة ستة عشرة عاماً وتبدأ قصتنا بعد أن كبرت كيمي وأصبحت فتاة جميلة.

كانت كيمي ابنة بارة لتينكو وتولت كافة شؤون منزله وكان تينكو يعتبرها ابنته فعلاً وليس ابنة شقيقته، الطفلة غير الشرعية، وكان يثق بها أيما ثقة.

بعد وصول الطالب الشاب جلب قلب الآنسة كيمي لها الكثير من المتاعب، لقد وقعت في غرامه وأعجب بها ساورا بشدة ولكنه لم يفه بكلمة عن حبه لانشغاله الشديد بدراسته وكان يعتبر كيمي فتاة رقيقة يتناول معها طعامه ويستمتع بصحبتها. وكان مستعداً لأن يقاتل من أجلها كما أنه أحبها

Twitter: @ketab_n

ولكنه لم يعط نفسه فرصة التفكير في أنها ليست شقيقته وأنه من الممكن أن يبادلها الحب.

في نهاية الأمر لم تعد كيمي تتحمل آلام الحب واستغلت غياب خالها في المعبد الذي ذهب له ليرسم شيئاً ما للرهبان واستجمعت شجاعتها وباحت لساورا بحبها.

أخبرته أنه منذ قدومه إلى لمنزل لم يعرف قلبها الراحة لأنها أحبته وتتمنى أن تتزوجه لو لم يكن لديه مانع.

كان الطلب البسيط العذري الذي صاحبته دعوة على الشاي أكثر مما يمكن أن يتحمل ساورا دون أن يوافق وليس الموضوع معقداً لتلك الدرجة وفكر في نفسه قائلاً كيمي فتاة جميلة وساحرة وأنا أحبها بشدة ولابد من أن أتزوجها في يوم ما.

لذلك أخبر ساورا كيمي بأنه يحبها وأنه سيكون سعيداً بالزواج منها بعد استكمال دراسته أي بعد عامين أو ثلاثة أعوام.

شعرت كيمي بسرور بالغ وبعد عودة تينكو الطيب من معبد كورينجي أخبرته بما حدث.

Twitter: @ketab_n

واجتهد ساورا في دراسته بنشاط جديد وتحسن أسلوبه في الرسم كثيراً وبعد عام فكر تينكو أنه من الأفضل لساورا أن يستكمل دراسته في كيوتو تحت رعاية صديق قديم له وهو رسام اسمه سومييوشي ميوكي.

لذلك في ربيع السنة السادسة من حقبة كيوهو أي في العام 1721 ودع ساورا تينكو وابنة شقيقته الجميلة كيمي وذهب إلى العاصمة.

وكان فراق حزين حيث أحب ساورا كيمي بشدة وتعهد بالعودة والزواج منها بمجرد انتهاء دراسته.

وفي تلك العصور القديمة لم يكن اليابانيون يجيدون المراسلة وتبادل الخطابات أكثر مما هم عليه الآن وحتى العشاق والمخطوبين لم يكونوا يكتبون لبعضهم بعض كما تظهر العديد من القصص.

وبعد أن قضى ساورا عاماً بعيداً كان لابد من أن يكتب ويروي جميع الأحداث التي مرت به ولكنه لم يفعل ذلك.

ومرّ عام آخر ولم ترد أي أخبار وفي الوقت نفسه كان هناك العديد من المعجبين حول كيمي طلبوا يدها من تينكو ولكن هذا

Twitter: @ketab_n

اعتاد أن يقول إن كيمي مخطوبة بالفعل حتى جاء يوم وصله فيه خطاب من ميوكي، رسام كيوتو.

وأخبره ميوكي أن ساورا يحقق تقدماً ملحوظاً وأنه يرغب بشدة في أن يتزوج الشاب ابنته ولكنه شعر أنه لابدّ من أن يعرف رأي صديقه القديم تينكو أولاً قبل أن يتحدث مع ساورا.

من جانب آخر تلقى تينكو طلباً من تاجر غني للزواج من كيمي فما الذي يجب أن يفعله؟ في حين لم يبد ساورا أي إشارة على العودة، فإن ميوكي يرغب بشدة في أن يزوجه ابنته وفكر أن هذا ربما يكون في صالح ساورا. فميوكي معلم أفضل منه ولو تزوج ساورا ابنته فسيهتم به أكثر من ذي قبل، كما من الأفضل أن تتزوج كيمي أيضاً من التاجر الشاب إذا نجح في إقناعها وهو ما سيكون صعباً لأنها ما زالت تحب ساورا وهو يخشى أن يكون الأخير قد نسيها، فقال لنفسه سأجرب استراتيجية بسيطة وسأخبرها بأن ميوكي أرسل لي خطاباً ذكر فيه أن ساورا سيتزوج ابنته وعندها من المحتمل أن ترغب في الانتقام بالموافقة على الزواج من التاجر الغني.

وبعد أن فكر في ذلك أرسل خطاباً إلى ميوكي قال فيه إنه يؤيد بشدة طلبه من ساورا أن يتزوج ابنته ويتمنى له النجاح في محاولته وفي المساء تحدث إلى كيمي.

Twitter: @ketab_n

قال لها: «كيمي، لقد وصلتني أخبار اليوم من ساورا عن طريق صديقي ميوكي».

هتفت الفتاة فرحة: «حقاً؟ ماذا أخبرك؟ هل سيعود وهل أنهى تعليمه؟ إنني أشعر بفرحة عارمة لأنني سأراه، من الممكن أن نتزوج في أبريل عندما تزدهر أشجار الكرز ويمكنه أن يرسم صورة لنزهتنا الأولى معاً».

ردّ عليها تينكو قائلاً أخشى يا كيمي أن الأخبار ليست عن عودته بل على العكس من ذلك طلب مني ميوكي أن أوافق على زواج ساورا من ابنته وأعتقد أنه لم يكن ليطلب ذلك لو كان ساورا مخلصاً لك، لقد رددت على طلبه وأخبرته بأنني لا أعارض هذا الزواج، والآن بالنسبة لك – وأنا أشعر بأسف شديد لإخبارك بذلك – ولكن بصفتي خالك ومربيك أرغب في أن أنصحك بالموافقة على الزواج من التاجر الشاب يوروزويا الذي يحبك بشدة وهو زوج جيد من كافة الأوجه وإنني مصر على قبول زواجه منك لأنني أعتقد أنه سيكون زواجاً موفقاً».

انهمرت دموع كيمي المسكينة بغزارة وانخرطت في البكاء ومن دون أن تتفوه بكلمة ذهبت لحجرتها واعتقد تينكو أنه من الأفضل تركها بمفردها الليلة.

Twitter: @ketab_n

وفي الصباح اكتشف أنها غير موجودة ولم يعلم إلى أين ذهبت.

وفي كيوتو واصل ساورا دراسته وظل مخلصاً لكيمي.

وبعد وصول خطاب تينكو الذي به الموافقة على اقتراح ميوكي أن يطلب من ساورا الزواج من ابنته وطلب ميوكي من ساورا أن يمنحه هذا الشرف وقال له: «عندما تتزوج من ابنتي سنصبح أسرة من الرسامين وأعتقد أننا سنصبح من أشهر أسر الرسامين في اليابان على الإطلاق».

صاح ساورا: «ولكن يا سيدي لا يمكنني أن أحظى بشرف الزواج من ابنتك لأنني خاطب بالفعل، لقد كنت مرتبطاً طوال الثلاثة أعوام الأخيرة بكيمي ابنة تينكو ومن الغريب جداً أنه لم يخبرك بذلك».

ولم يستطع ميوكي أن ينطق بكلمة ولكنّ أفكاراً كثيرة جالت في خاطر ساورا وفكر أن عدم تراسل اليابانيين فيما بينهم بحرية من أكبر الحماقات، وبعد ذلك كتب لكيمي مرتين ولكنه لم يتلق أي رد.

Twitter: @ketab_n

ومرض ميوكي بعد أن أصيب بالبرد ومات ولذلك عاد ساورا لقريته في آكي حيث رحب به تينكو الذي كان يعيش وحيداً من دون كيمي بعد أن طعن في السن.

وعندما علم ساورا أن كيمي رحلت من دون أن تترك عنواناً أو خطاباً اشتاط غضباً خاصة أنه لا يعرف سبب ما حدث.

وقال لتينكو: «يا لها من فتاة جاحدة شريرة، إنني محظوظ لعدم زواجي منها».

رد تينكو: «نعم لقد كنت محظوظاً فعلاً، ولكن لا يجب أن تغضب، إن النساء مخلوقات غريبة الأطوار وكما يقولون، عندما تجري المياه لأعلى التل ويبيض الدجاج بيضاً مربعاً يمكنك أن تتوقع وجود امرأة عاقلة فاضلة، ولكن دعنا من ذلك الآن لقد أصبحت عجوزاً ضعيفاً، إنني أرغب في أن أمنحك منزلي وممتلكاتي هنا ولابدّ من أن تأخذ اسمي وتتزوج».

كان ساورا يشعر بالاشمئزاز من فعلة كيمي ولذلك كان مستعداً للموافقة وسرعان ما عثر على فتاة جميلة وشابة ابنة فلاح ثري اسمها كيكو وتزوجها وعاشا معاً بسعادة مع تينكو

Twitter: @ketab_n

العجوز وحافظا على منزله وقاما بإدارة شئون ممتلكاته وكان ساورا يرسم في وقت فراغه وشيئاً فشيئاً أصبح مشهوراً.

وذات يوم أرسل سيد آكي في طلبه وقال إنه يريد من ساورا أن يرسم سبعة مناظر طبيعية (أو ستة على الأرجح) لجزر كاباكاريجيما وكان سيتم رسم المناظر على نسيج ذهبي.

وكان هذا أول تكليف يحصل عليه ساورا من شخص رفيع المستوى بهذا الشكل وكان فخوراً للغاية بذلك وذهب إلى شمال وجنوب جزر كاباكاري حيث رسم الرسومات الأولية وذهب لجزر شوكوكوجيما الصخرية ولجزيرة دايكوكوجيما الصغيرة غير المأهولة حيث خاض مغامرة.

ففي أثناء مشيه على الشاطئ التقى فتاة اكتسبت سمرة بسبب أشعة الشمس والرياح وكانت ترتدي قماشاً قطنياً أحمر اللون حول خصرها فقط وانسدل شعرها على كتفيها.

وكانت تجمع المحار وتضعه في سلة معلقة بذراعها.

وفكر ساورا أن وجود امرأة وحيدة في ذلك المكان المقفر أمر غريب والأمر الأغرب هو أنها خاطبته قائلة: «لابد من أنك ساورا كاميجو أليس كذلك؟».

Twitter: @ketab_n

رد ساورا: «نعم أنا ولكن من الغريب أنك تعرفينني هل لي أن أعرف كيف ذلك؟».

ردت قائلة: «إذا كنت ساورا الذي أعرفه فلابد من أنك تعرفني من دون أن تسأل لأنني أنا كيمي التي كانت خطيبتك».

اعترت ساورا الدهشة ولم يدر ماذا يقول وسألها كيف ذهبت لتلك الجزيرة المعزولة؟

شرحت له كيمي كل شيء وأنهت كلامها بابتسامة سعيدة على وجهها وقالت: «الآن فهمت يا ساورا الحبيب أنه تم تضليلي وأنك لم تتزوج ابنة ميوكي وأننا كنا مخلصين لبعضنا بعض ويمكننا أن نتزوج ونعيش في سعادة للأبد، ياه! فكر كم سنصبح سعداء».

رد عليها ساورا: «للأسف يا كيمي الحبيبة لن يحدث ذلك لقد اعتقدت أنك هجرت راعينا تينكو ونسيتني تماماً، يا للحسرة، لقد اقتنعت أنك كنت خائنة وتزوجت من آخر».

لم ترد كيمي وبدأت في الجري على طول الشاطئ حتى وصلت إلى الكوخ الصغير الذي تتخذه مأوى لها، جرت بسرعة

Twitter: @ketab_n

وجرى ساورا في أعقابها وهو ينادي: «كيمي، كيمي، توقفي وكلميني»، لكن كيمي لم تتوقف ودخلت كوخها واستلت سكينا وذبحت نفسها وسقطت على الأرض لتنزف حتى الموت.

شعر ساورا بحزن شديد وانفجر في البكاء، لقد كان رهيباً أن يرى الفتاة التي كان من المفترض أن تكون عروسه ميتة عند قدميه ويغطيها الدم بالكامل، بل إنها ماتت بتلك الطريقة الشنيعة بيديها.

شعر بأشد التأثر وأخذ قطعة من الورق من جيبه ورسم لوحة لجسدها ثم قام مع أحد البحارة بدفن كيمي بالقرب من الكوخ وبعد ذلك عاد لمنزله بقلب حزين ورسم لوحة للفتاة الميتة وعلقها في حجرته.

وفي الليلة الأولى بعد تعليق اللوحة شاهد ساورا حلماً رهيباً وعندما استيقظ وجد الرسم في اللوحة المعلقة يبدو حياً وبرز شبح كيمي من اللوحة ووقف إلى جوار فراشه وليلة بعد ليلة ظل الشبح يظهر حتى جافى النوم ساورا الذي فكر أنه لا يعرف ما الذي يمكن أن يفعله سوى أن يرسل زوجته إلى منزل والديها وهو ما فعله وقام بإهداء اللوحة لمعبد كورينجي حيث أولاها الرهبان رعاية فائقة وصلّوا يومياً لروح كيمي وبعد ذلك لم يرَ ساورا الشبح مجدداً.

Twitter: @ketab_n

وأطلق على اللوحة اسم «لوحة الشبح للرسام تينكو الثاني» ويقال إنها ما زالت موجودة في معبد كورينجي حيث وضعت منذ زهاء مئتين وثلاثين أو مئتين وأربعين عاماً.

Twitter: @ketab_n

ISBN 978-9948-01-355-6

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة